خمائل الواحة

القطاف الثاني

دار الجندي للنشر والتوزيع

دار الجندي للنشر والتوزيع -القدس

009722340035

info@aljundi.biz

www.aljundi.biz

خمائل الواحة

مجموعة قصصية

القطاف الثاني (2014م)

وحقوق النّشر محفوظة للاتحاد العالمي للإبداع الفكري والأدبي ورابطة الواحة

خمائل الواحة

مجموعة قصصيّة

صادرة عن الإتّحاد العالمي للإبداع الفكري والأدبي

ورابطة الواحة الثّقافيّة.

دار الجندي للنشر والتوزيع

المقدّمة

الحمد لله الذي وهب النعم ومايز الهمم وأكرم من فضله وأتم، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للأمم الداعي لصون الذمم والخلق الحميد والكرم وبعد؛

فإني يشرفني أن أقدم لهذا الكتاب الأدبي القيم بالقطاف الثاني من سنابل وخمائل بما يحمل من نصوص أدبية واعية ومضامين إنسانية راقية وأداء أدبي جميل. في إصدار آخر جديد تقدمه رابطة الواحة الثقافية -هذه المرّة- بالتعاون مع الاتحاد العالمي للإبداع الفكري والأدبي، في إضافة مهمة للمكتبة الأدبية العربية وهدية للرعيل المؤسس لهذا الاتحاد من أفاضل رياديين تنادوا إليه ليكون جسدا ثقافيا مهما يرعى الإبداع والمبدعين عموما بشكل منصف ونزيه، ويقوم على خدمة الفكر العارف والأدب الهادف ، وأخذوا على عواتقهم العبء الكبير بما يلزمه من جهد وإيثار وتجاوز للفردية والأثرة وهوى النفس بتبني مشروع منظمة ثقافية عالمية غير ربحية

ترتكز في عملها على القيم الإنسانية العليا وتمثل حركة مجتمع مدني غير عنصرية وغير ذات تبعية سياسية أو حزبية، تعمل على زيادة التفاهم والاحترام بين الثقافات الإنسانية المختلفة ودعم التعاون الثقافي إضافة إلى إثراء التجارب الإنسانية المختلفة بما يعني العمل لخير الإنسانية جمعاء دون طمع في كسب أو تحقيق لمصلحة ذاتية

إن هذا الكتاب هو ثمرة تعاون أول بين هذين الكيانين الثقافيين المهمين وسيتم العمل مستقبلا على تأكيد هذه الشراكة الثقافية أدبا وفكرا بكل ما من شأنه أن يخدم الأهداف والأعضاء ويحقق المأمول من نشر الوعي الثقافي فكرا وأدبا وترسيخ العلاقة بين المبدع والمتلقي بشكل فاعل ومؤثر. ويظل لرابطة الواحة الثقافية الدور السباق في خدمة الأدباء والمبدعين بشكل صادق ومتجرد، ورعاية الأدباء والموهوبين من أرباب الأدب ومحبيه وأهل الفكر ومرتاديه وهو دور لن تتأخر يوما في تحقيقه وترسيخه بوعي واستحقاق.

وعود على بدء فإن هذا الإصدار إنما يمثل شكرا إنسانيا وأدبيا لكل مبدع من الأدباء والمفكرين ممن بادر إلى هذه الهمة وكان عضو مؤسسا في هذا

الاتحاد الذي يعد بالكثير ويراهن على كل صادق نبيل من أبناء الأمة، فالشكر والتقدير لكل نبيل كريم من هذه الثلة المباركة راجيا أن يتقبل الجميع هذه الهدية المميزة كأصدق تعبير عن الشكر والتقدير.

د. سمير العمري

رئيس رابطة الواحة الثقافية

السويد في 6 نوفمبر 2013 ميلادي

الإهداء

إلى فرسان اللّغة الذين يمتطون أفراس المحافظة عليها،

ويروون أغراس الإبداع في ترب محبّتها

يهدي الاتّحاد العالمي للإبداع الفكري والأدبيّ

ورابطة اتّحاد الواحة الثّقافيّة هذا النّتاج

د. سمير العمري

استبدال

لم يعرفْ كيفَ خرجَ منَ السوقِ ينتَهِبُ الخُطواتِ نَهبًا مُتلفِّتًا ورَاءَهُ بَينَ الفَينةِ والفينةِ في جَزَعٍ كَبيرٍ. شَعرَ بِأنَّ عَرَبتَهُ المُزيَّنة هَذهِ تَتَآمرُ عَليهِ بِثِقَلِهَا الذِي يكادُ يَقطعُ أنفَاسَهُ ، وَبِصريرِ عَجَلاتِهَا الذي يَكادُ يَشِي بِهِ ، وَلِلمرَّةِ الأولى شَعرَ بِمَقتِهِ لَهَا فَتوقَّفَ عن دَفعِهَا وَجَمَعَ مَا عَليهَا منْ مُجوهراتٍ في صُرَّةٍ، ثُمَّ مدَّ يدَهُ إلى تلكَ يُخْرجُهَا من مَخبَئِهَا يَلفُّهَا بِثوبِهِ وَيحملُهَا بينَ يديهِ بِحِرصٍ وَعِشقٍ قَبلَ أنْ ينطلقَ رَاكِضًا لا يلوِي عَلى شَيءٍ. أَغلقَ بابَ غُرفَتِهِ المُتهالِكَةِ وَتهاوَى بِهَا إلى أَريكتِهِ القَديمةِ يُجاهدُ أَنفَاسَهُ المُتلاحقَةَ، يَنْظُرُ إليهَا تَارَةً يَكادُ يَلتَهمُهَا، وَإلى البَابِ أُخرى خَائفًا يترَقَّبُ.

أَخرجتْ اعْتِمَادٌ صُندوقَ المُجوهراتِ المُزركشِ الذِي وَرِثتهُ عن جَدَّتِها الثَّريَّةِ

تبحثُ فيه عمَّا تَتزيَّنُ بهِ في حَفلةِ عِيدِ مِيلادِهَا الذي اعتَادتْ أنْ تُقيمَهُ بَاذخًا وَتدعُو إليهِ الكثيرَ ممَّنْ يُشبِعوَن لَهَا شَهِيَّتَهَا لِلمَديحِ. صَاحتْ تُنادي الخَادمَةَ دونَ أنْ تلتفتَ عن المرآةِ تَسألُهَا عن رَأيِهَا في القِلادَةِ وَهِيَ تَتَحَسَّسُهَا عَلى جِيدِهَا بِبَعضِ امتعاضٍ. أدركتِ الخادمَةُ الماكِرةُ بِخُبْثِهَا المَوقِفَ فأَسمعتْ سَيدتَهَا مَا كَانتْ تُريدُ، ثُمَّ اقترَحتْ أَنْ تَخرجَ بِصُحبتِهَا إلى السوقِ فَتَسْتَبدِلَ بِهَا قِلادةً حَدِيثةً تَليقُ بِهَا وتُناسبُ عصرَهَا وَتُبعدُ عنهَا هذا الشُّعورَ بِالتَّبعِيَّةِ وَالاخْتِنَاقِ.

هدَأَتْ أنفاسُهُ قليلا وَشعرَ ببعضِ اطمئنانٍ فَمَدَّ يَدَهُ الوَاجفةِ نَحْوهَا لا يَكادُ يُصَدِّقُ أَنَّهَا هُنا أَمامَهُ ينظُرُ إليهَا. كَانَ جَمالُهَا أَخَّاذًا وَبريقُها يَسْحرُ الألبابَ. تَأَمَّلَ بِشغَفٍ كُلَّ تلكَ النفَائِسِ التِي تَزِيدُ ألقَ جُرْمِهَا الصَّقيلِ بَهَاءً وَهَيبةً. كانتْ من أجملِ مَا رأَى في حياتِهِ وَأثمنِ مَا مَلكتْ يداهُ، فَابتَسمَ لَهَا أخيرًا وهوَ يتمنَّى في سرِّهِ أنْ تكونَ لهُ دونَ مُنازعٍ فَتُغيِّرَ حَيَاتَهُ كُلَّهَا ، وَتمسحُ عن كاهلِهِ كلَّ عَناءٍ عَاشهُ مُنذُ وَلَدتْهُ أُمُّهُ. لم تُحِبَّ اعْتِمادُ يومًا جدَّتَهَا إِذْ رَأتهَا دَومًا مُتسَلِّطَةً لا تُراعِي اختِلافَ عَصْرِهَا وَلا اعترافَ عُذرِهَا. كَانتْ تَمقتُ صَرَامتَهَا وَجِدِّيتهَا في أنْ

تُنْشِئَهَا نَشْأةً مُحافظةً على التقاليدِ وَالقيَمِ، فَتكونَ امتدادًا طَبيعيًا لِلسلالَةِ وَلِلحَضَارَةِ التِي قَامتْ عَليهَا. وكَمْ كَانَ يُزعجُهَا انتقادُ جدَّتِهَا لِسطْحِيَّتِهَا وَعُزُوفِهَا عن كلِّ ما يُمثِّلُ قِيمةً أو مَا يحتاجُ جُهدًا. وَلَمْ تَجِدْ فِي نَفسهَا يَومًا قَبولا لِنُصحهَا القَاسِي حِينمَا كَانتْ تَنْهرُهَا كُلَّمَا آثَرتْ المَدحَ عَلى الحَمْدِ وَالهَزْلَ عَلى الجدِّ بِأنَّ قيمةَ الإنسانِ في مُحتوَى ذَاتِهِ لا في كَثيرِ مَالِهِ أو عظِيمِ سُطوتِهِ أو رَخيصِ مَدحٍ يكيلُهُ مُغرِضٌ أو مُخاتِلٌ. لمْ يكنْ أصعبُ على نفسِهَا من قرارِ جَدَّتِها تسريحَ الخادمَةِ التي ارتاحت لها بعد أن رَأتْ أَنَّهَا تُغوِيهَا بِالمَدحِ وَتُخَذِّلُها عَن كُلِّ نُصحٍ. ولمْ تجدْ مَخْرَجًا لهَا ممَّا هيَ فيهِ سُوى أنْ تَتَمنَّى لِجدَّتِها المَوتَ عَاجِلاً غَيرَ آجلٍ. وَمَاتتِ الجَدَّةُ، فَكَانَ أولَ مَا فعلتهُ اعتمادُ هُو أنْ أَعادَتِ الخَادمَةَ الأَثيرَةَ، ثُمَّ مَا لَبثتْ أَنِ استَجابَتْ لِمُقترحِها؛ فَبَاعتِ القَصرَ الجَميلَ القائِمَ عَلَى قِمَّةِ التَّلةِ المُشْرفَةِ عَلَى المَدِينةِ لأَحَدِ الغُرَبَاءِ والذِي حَوَّلهُ بِدَورِه لِمتحفٍ لِمُقْتَنياتٍ دَخِيلةٍ؛ لِتنفِقَ المَالَ عَلى تَقَلُّبِهَا المُستَمرِّ أَسفلَ الوادِي بَينَ الفَنَادِقِ وَالشَّاليهَاتِ وَعَلى حَفلاتِ الأُنسِ الصَّاخِبةِ .

لمْ تَشعرِ اعتمَادُ وَهيَ تَدخلُ السوقَ الذِي قَادَتهَا إِليهِ الخَادِمةُ بِالاخْتِناقِ الذي كانتْ تشعرُ به كلمَّا دخَلتْ ذلكَ المَعرضَ الفَاخِرَ الذِي اعتَادَتْ أنْ تَصْطَحِبَها إليهِ جَدَّتُها. كَانتْ تشعرُ هناكَ بِالتِّيهِ وَبِالضِّيقِ من ذَلِكَ الهُدُوءِ الرَّصِينِ وَالتعَامُلِ المُهيبِ وَالتناولِ الدقيقِ لكلِّ مَا يُعْرضُ فيهِ. كَانَ كُلُّ شَيءٍ هُناكَ لا يَروقُ لَهَا خُصُوصًا تلكَ الانتِقَاداتِ التي كانتْ تَسمَعُهَا كُلمَّا اختَارتْ ثَوبًا تُحِبُّ أَو حِليةً تُؤثِرُ. أمْسكَ بالقِلادَةِ يُقلبُّهَا بينَ يديهِ وَقَدْ أَذْهَلَتهُ بِثِقَلِها وَدِقَّةِ صُنْعِهَا. كَانتْ مِنَ الذَّهَبِ الخَالصِ زَيَّنتهَا فُصُوصٌ من عَقِيقٍ وزُمُرَّدٍ تَتَوَسَّطُهَا مَاسَةٌ كَبيرةٌ بِنَقشٍ فَريدٍ. لمْ يكُنْ لِيُصدِّقَ مَا يسمعُ مِن عَرْضِ اعتِمَادٍ – أَو مُودِي كَمَا تُحِبُّ أنْ تُنادَى – أَنْ تَستَبدِلَ بِهَا بَعْضَ قَلائِدَ ممَّا يَعرضُهَا عَلَى عَربَتِهِ. هَزَّ رَأسَهُ بِالمُوافقةِ كَالأبلهِ بَينَا هِي تَنتَقِي مِن بينِ تلكَ المَصُوغَاتِ الصِّينيَّةِ من سَبَائِكَ ذَهَبٍ رديءٍ قَد زَيَّنتهَا قِطَعٌ مِنْ لُؤلُؤٍ مُصنَّعٍ ومزخْرفٍ بِألوانٍ بَرَّاقَةٍ. شَدَّهَا اخْتلافُ الشَّكْلِ وَبَريقُ القِشْرَةِ ، وَسَرَّهَا كَثيرًا أَنْ تَسمعَ منهُ بِأَنَّهَا مَنْ يُزيِّنُ الحُلِيَّ لا العَكْسِ، وَأنَّ جَمَالهَا كَبيرٌ وَذَوقَهَا رَاقٍ. وَبَينَ دَهْشتِهَا وَدَهشتِهِ قَدَّمَ لهَا قِرْطًا وَسِوَارَينِ كَهديَّةٍ

إِضَافِيَّةٍ قَبلَ أنْ ينطلقَ بِعَربَتِهِ فِرَارًا بِمَا غَنِمَ وَتنطَلَقَ هِيَ خَلْفَ خَادِمَتِهَا سَعِيدَةً غَانِمَةً إلى حيثُ اخْتَارتْ أَنْ تَكُونَ.

قِرشٌ بِقِرْشٍ

شَاخَ الليلُ حتَّى أَطلَقَتْ إِرْهَاصَاتُ فَجْرِهِ بَلابِلَ صَمتِهِ طُيُورًا تَسْعَى لأَرْزَاقِهَا مُسَبِّحَةً رَبَّهَا العَظِيمَ. وَكَانَ عَصْفُ رِيحٍ مُثقَلةٍ بِبَرَدٍ قَارِسٍ فِي مُنتَصَفِ كَانُونَ يُشِيبُ مَا تَبَقَّى مِن خصُلاتِهِ المُظْلمَةِ قَبلَ أَنْ يَرتَفِعَ صَوتُ أَذَانِ الفَجْرِ نَدِيًّا يُنَادِي إِلى خَيرِ العَمَلِ. كَانَ مُخْتَارٌ قَد سَبَقَ عَصَافِيرَ الفَجْرِ يَحُثُّ الخُطَى خَلفَ وَالِدِهِ فِي الطَّرِيقِ المُحَاذي للسَّاحِلِ وَالذِي يَمُرُّ عَبرَ أَجَمٍ مِن نَخِيلٍ شَاهِقٍ. رَهْبَةُ الصَّمْتِ وَعَويلُ الرِّيحِ وَشِدَّةُ الظُّلْمَةِ تَرْسُمُ فِي خَيَالِهِ بَعضَ خَوفٍ طُفُولِيٍّ أَذْكَتْهُ حَكَايَا جَدَّتِهِ إِذْ يَغْفُو في حضْنِهَا كُلَّ لَيلَةٍ ، وَتُحْجِمُ يَدُهُ مُجَدَّدًا أَنْ تَطْلُبَ يَدَ وَالِدِهِ الصَّارِمِ بَحْثًا عَن أَمانٍ.

كَانَ البَحْرُ يَزْبدُ غَاضِبًا مِنْ لَطْمِ الرِّيحِ ،يَتَطَاوَلُ مَوجُهُ لِيَصفَعَ مَا يَخَالُهُ خَصْمًا. وَكانَ بَعْضُ صَقِيعٍ يُدَثِّرُ الأَرضَ بِثَوبٍ قُطْنِيٍّ لامِعٍ امْتَدَّ حَتَّى غَطَّى قَارِبَهُم الصَّغِيرَ.

لَقَدْ بَدَأَ نَهَارٌ جَدِيدٌ فِي حَيَاةِ هَذَا الطِّفْلِ ذِي السَّنَوَاتِ العَشْرِ. فَأَسْرَعَ إِلَى تَطْبِيقِ مَا تَعَلَّمَ بِخِفَّةٍ وَحِرْفَةٍ ، ثُمَّ جَلَسَ قبَالَةَ وَالِدِهِ يُزِيحُ مِثْلَهُ بِيَدَيهِ العَارِيَتَينِ أَكْوَامَ الثَّلْجِ لِيَصلَ لِلأَسْمَاكِ المُجَمَّدَةِ يُلْقِمُهَا الشُّصُوصَ طُعْمًا لِصَيدٍ يُوَفِّرُ القُوتَ لِعَائِلَتِهِ الكَبِيرَةِ ، وَكُلَّما تَجَمَّدَتْ أَطْرَافُهُ حَدَّ الشَّللِ أَسْرَعَ يَغْمِسُهَا فِي مِيَاهِ البَحْرِ الباردة لِتَدْفَأَ فَتَسْتَعِيدَ حَرَكَتَهَا مِنْ جَدِيدٍ.

البَحرُ يَعْلُو وَيَهْبِطُ ، وَالرِّيحُ تَعْوِي وَتَصْفِرُ ، وَالقَارِبُ الصَّغِيرُ يَكَادُ يَدْفَعُ ثَمنَ صِرَاعِهِمَا يَصْطَفِقُ بِقُوَّةٍ تَكادُ تَخلعُ قَلبَ الصَبيِّ وهُوَ يَنظُرُ فِي الأُفُقِ مُبتَهِلا للهِ أَنْ يَكُونَ حَظُّهُمْ هَذَا اليَومَ مِن الرِّزْقِ مُعِيلا. أَغْمَضَ عَينَيهِ يَستَعِيدُ شَرِيطَ ذِكرَياتٍ مُتَبَاينةٍ ثُمَّ انْشَغَلَ يَدعُو اللهَ بِرِزْقِ العِيالِ حتَّى إِذَا صَفَا ذِهْنُهُ فِي تَأَمُّلٍ بَدَا كَحُلُمٍ لَمْ يَخْتَرْهُ ،رَأَى سَمَكَةً تَعُومُ عَلَى السَّطْحِ تَتَّجِهُ إِلَيهِ فَيَمُدُّ يَدَهُ فَيَلْتَقِطُهَا. هَزَّ رَأْسَهُ يَضحَكُ مِنْ نَفسِهِ ؛ لا بُدَّ أَنَّ الحَاجَةَ الشَّدِيدَةَ لِلمَالِ وَنُدْرَةَ الصَّيدِ فِي الأَيَّامِ الأَخِيرةِ هُمَا مَا رَسَمَا هَذَا فِي مُخَيِّلَتِهِ .

سَيطَرَ عَلَيهِ هَذَا الحِسُّ وَطَارَدَ خَاطِرَه صَيدُ خَيَالِهِ حتَّى فَتَحَ عَينَيهِ يَطْرُدُ بِنُورٍ بَعِيدٍ هَوَاجِسَهُ هَذِهِ فَلَمْ يُفلِحْ. اتَّخَذَ وَضْعًا يُمَكِّنُهُ مِن مُرَاقَبَةِ مَا تَسْمَحُ بِهِ الظُّلْمَةُ مِنْ سَطْحِ البَحْرِ دُونَ أَنْ يُفَرِّطَ فِي اسْتِرخَائِهِ ثُمَّ انتَفَضَ فَجْأَةً صَائِحًا:

ـ تَوَقَّفْ يَا أَبِي ، هَذِهِ سَمَكَةٌ تَعُومُ إِلَينَا.

دُهِشَ أَبُوهُ حَتَّى لَقَدْ خَشِيَ عَلَيهِ منْ هَذَيَانِ رَهَقٍ ، فَابْتَسَمَ بِرِفْقٍ وَقَالَ:

ـ لَعَلَّنَا نَصْطَادُ اليومَ سَمَكًا كَثِيرًا بِإِذْنِ اللهِ. السَّمَكُ لا يَأتِي النَّاسَ يا بُنَيَّ ، وَالعَتْمَةُ هَذِهِ لا تَسْمَحُ بِرُؤيَةِ أَي شَيءٍ الآنَ. استَرِحْ رَيثَمَا نَصِلُ إِلى حَيْثُ نَبْدَأُ الصَّيدَ.

ـــ وَلَكِنْ يَا أَبِي أَرَاهَا ، هَا هِي تُقْبِلُ ، وَاللهِ أَرَاهَا هُنَاكَ.

هَالَ الأبُ نَبرَةَ ابْنِهِ الوَاثِقَةُ وَذهلَ حِينَ رَأَى إِذْ دَنَا تِلْك السّمَكَةَ تَتَّجِهُ نَحْوَ القَارِبِ فِي استِسْلامٍ. لَمْ تَكُنْ كَبِيرَةً وَلَكِنَّهَا كَانَتْ ثَقِيلَةَ الوَقْعِ لِتبعَثَ الفَرْحَةَ وَالرَّهْبَةَ فِي آنٍ مَعًا وَهُوَ يُمْسِكُ بِهَا حَيَّةً طَازَجَةً مُردِّدًا:

ـ سُبْحَانَ اللهِ!

وَصَلا إِلى حَيْثُ بَدَأَ الصَّيدُ مَراسِمَهُ المَعهُودَةَ ، وَطَالَ انْتِظَارٌ دُونَ جَدْوَى. وفَجْأة إِذْ قَارَبَتِ النِّهَايةُ عَلَى غَرْزِ طَعْنَةِ إِحبَاطٍ تَزيدُ النَّصَبَ شُدَّ الخَيطُ بِقُوَّةٍ جَبَّارةٍ وَبَدَأَتْ الشُّصُوصُ تَنْطَلِقُ مِن مَكَامِنِهَا كَرَصَاصَاتٍ سَرِيعَةِ الطَّلَقَاتِ.

صَرَخَ الأَبُ مُستَنْفِرًا:

ـــ ارْتَدِدْ إِلى الخَلْفِ بِلا جَلَبَةٍ يَا مُخْتَارُ وَخُذْ حِذْرَكَ!

كَانَ مُخْتَارٌ يَعْلَمُ مَا يَجِبُ عَلَيهِ فِعْلُهُ وَإِنْ أَرْبَكَهُ اخْتلافُ قُوَّةِ الشَّدِّ هَذِهِ المَرَّةِ فَكَانَ أَكْثَرَ حَذَرًا. سَاعَتَانِ مَرَّتَا كَدَهْرٍ وَالقَارِبُ يُجَرُّ إِلى حَيث شَاءَ ذَلكَ القِرْشُ الضَّخْمُ وَقَدْ فَاقَ حَجْمُهُ حَجْمَ قَارِبِهِمَا قَبْلَ أَنْ تَخُورَ قِوَاهُ حَدًّا مَكَّنَهُمَا مِنْ شَدِّهِ لِلقَارِبِ. مَا إِنِ اقْتَرَبَ حَتَّى عَقَدَ الذُّهُولُ العَينَ وَاللِسَانَ حتَّى لَقَدْ عَجِزَا عَنْ رَفْعِهِ لِلقَارِبِ فَمَدَّدَاهُ إِلى جَانِبِهِ يَكَادُ أَنْ يَمِيدَ بِهِ .

وَقَفَ جَمعٌ كَبيرٌ يَنْظُرُ بَعْضٌ بِفُضُولٍ وَبَعْضٌ بِحَسَدٍ وَهُمْ يَرَونَ القَارِبَ

يَكَادُ يَغُوصُ يَحْسَبُونَهُ امْتَلأَ سَمَكًا. حتَّى إِذَا وَصَلا الشَّاطِئَ أَسْرَعَ بَعضُ الوَاقِفِينَ لِلمُسَاعَدَةِ إِذِ احْتَاجَ إِخْرَاجُ القِرْشِ لِلبَرِّ عَشْرَةَ رِجَالٍ. كَانَ المَشْهَدُ مَهُولا جَمَعَ القَومَ عَلَيهِ حَتَّى فَرَّقَهُمْ تَاجِرُ السَّمَكِ الكَبِيرُ فَنَظَرَ فِي الصَّيدِ ثُمَّ قَالَ بِلَهْجَةٍ حَاسِمَةٍ:

عَشْرُ لِيرَاتٍ فِي هَذِهِ السَّمَكَةِ ، وَلا أُرِيدُ هَذَا القِرْشَ فَلا طَلَبٌ عَلَيهِ.

تَجَرَّأَ أَحَدُ التُّجَارِ الصِّغَارِ بَعْدَ أَنْ مَضَى ذَاكَ فَقَالَ:

ـ أَشْتَرِيهِ بِقِرْشٍ.

دَارَتْ الدُّنْيَا بِالصَّبِيِّ. أَبَعْدَ كُلِّ هَذَا العَنَاءِ وَالخَطَرِ ؟ رَحْمَتَكَ رَبِّي ! نَظَرَ فِي عَيْنَيِّ أَبِيهِ وَقَدْ تَعَلَّقَتَا بِالقِرْشِ وَتَعَلَّقَ فِيهِمَا حُزْنٌ وَحَسْرَةٌ وَقَالَ بِسُخْرِيَةٍ مَرِيرَةٍ:

ـ حَسَنًا ، خُذْهُ بِقِرْشٍ!

ـ يَا أَبِي

ـ أَصْمُتْ يَا مُخْتَارُ!

ـ يَـا أَبِي ... هَـذَا لَـيسَ بِعَـدْلٍ. دَعْنِـي أَبِعْـهُ فِي السُّـوقِ قِطَعًـا.

ـ لَـنْ تُفْلِـحَ يـا بُنَـيَّ فَلَحْمُـهُ مِمَّـا يُزهَـدُ بِـهِ ، وَهُـمْ لَـنْ يَسْـمَحُوا لَـكَ.

صَمَتَ لِسَانُ الصَبِيِّ وَتَحَـدَّثَتْ عَينَاهُ بِكُـلِّ مَـا أَصَـابَ القَلْـبَ مِـنْ قَهْـرٍ وَأَسَى ، يَنْظُرُ إِلى التَّاجِرِ كَأَنَّهُ يُقَطِّعُ مِنْهُ لَحْمَهُ قَبلَ أَنْ يُقَطِّـعَ لَحْـمَ القِـرشِ ذَاكَ. وَمَا إِنْ فَتَحَ التَّاجِرُ بَطْنَهُ حَتَّى جُنَّ جُنُونُ الصَبِيِّ يَصْرخُ بِأَبيهِ يَنظُرُ كِلاهُمَـا بَـينَ الـذُّهُولِ وَالأُفُـولِ لَكِـنَّ أَبَـاهُ نَهَـرَهُ بِرِفْـقٍ قَـائِلا:

ـ لا يَا وَلَدِي ، لا يَتَرَاجَعُ الحُرُّ عَنْ البَيْعِ حَتَّى لَوْ وَجَدُوا فِي بَطْنِهِ كُلَّ هَذَا الخَيرِ ، هِيَ أَرْزَاقٌ يَا بُنَيِّ وَأَقْدَارٌ لا يَجِبُ فِيهَا أَنْ يَدْفَعَنَا السُّخْطُ إِلى أَنْ نَزِلَّ أَوْ أَنْ نَضِلَّ أَو أَنْ نَنْكثَ عَهْدًا أَو أَنْ نَخُونَ أَمَانَةً.

بمعروف

أَشعَلَتِ الشَّمعَةَ المُعَطَّرَةَ العَاشِرَةَ أَمَامَهَا ثُمَّ انْثَنَتْ فِي رِقَّةٍ تُلَمْلِمُ أَطْرَافَ شَالِهَا المُخْمَلِيِّ عَلَى ثَوبِهَا الحَرِيرِيِّ ، وَأَسنَدَتْ خَدَّيهَا عَلى رَاحَتيهَا تَتَأَمَّلُ فِي صَمْتٍ تِلكَ الثُّلُوج التِي تَهْطُلُ بِرِفقٍ وَهُدوءٍ مِن خَلْفِ نَافِذَتِهَا ، تَتَرَقَّبُ بِشَوقٍ ظَاهِرٍ وَقَلَقٍ بَادٍ لا يَمْنَعُ بَسْمَةً هَادئَةً أَنْ تَسْكُنَ أَطْرَافَ شَفَتَيهَا. كَانَتْ قَدْ أَعْتَدَتْ لَهُ مُتَّكَأً عَلى أَرِيكَةٍ وَثِيرةٍ ، وَزَيَّنَتْ المَائِدةَ بِمَا يُحِبُّ مِن طَعَامٍ ، وَأَطْلَقَتْ مِن زَاوِيَةٍ بَعِيدَةٍ رَجْعَ مُوسِيقَى هَادِئَةٍ يَرُوقُ بِهَا. أَجَالَت النَّظَرَ مَرَّةً أُخْرَى لتَتَأَكَّدَ أَنَّ كُلَّ شَيءٍ عَلَى مَا يُرامُ ثُمَّ عَادَت تُسْنِدُ وَجْهَهَا عَلَى رَاحَتيهَا وَتَتَرَقَّبُ فِي هُدُوءٍ وُصُولَهُ. عَشْرُ سَنَوَاتٍ مَرَّتْ مُنْذُ التَقَتْهُ ، وَمَا زَالَ هَذَا الوُدُّ يَكْبُرُ حَتَّى بَاتَ حُبًّا بَنَى لَهُمَا بَيتًا أَسَاسُهُ المَوَدَّةُ وَالرَّحْمَةُ وَالاحْتِرَامُ المُتبَادَلُ. ابْتَسَمَتْ وَهِيَ تَسْتَعِيدُ ذِكْرَياتِ السِّنِين الدَّافِئَةَ وَالعِشْرَةِ الطَّيِّبَةِ وَالآمَالَ وَالآلامَ. قَدْ أَسْعَدَنِي هَذَا الرَّجُلُ وَوَفَّرَ لِي حَيَاةً أَحْبَبْتُهَا وَمَا مَسَّنِي بِسُوءٍ قَط حَتَّى

وَإِنِ انْزَعَجَ أَو تَبَرَّمَ. هُوَ مَا انْفَكَّ مَعِي سَمْحًا كَرِيمًا وَلَسْتُ أَدْرِي لِمَ أَشْعُرُ بِهَذَا الفَرَاغِ فِي صَدْرِي وَهَذَا القَلَقِ يَعْتَرِينِي مُنْذُ شُهُورٍ.

التَفَتَتْ نَحْوَ صُورَتِهِمَا حَيثُ ابْتَسَامَتُهُ وَابْتِسَامَتُهَا وَمَدَّتْ يَدَهَا تَرْفَعُ الصُّورَةَ وَتُقَبِّلُ ابْتِسَامَتَهُ تِلكَ ، تُنَاجِيهِ بِبَعْضِ وَلَهٍ وَوَجْدٍ ثُمَّ تُعِيدُهَا إِلى مَكَانِهَا. لِمَ هَذَا الوَجْدُ يَجْتَاحُنِي؟؟ وَلِمَ أَشعُرُ بِهِ حَائِرًا وَأَرَاهُ وَجِيدًا تَهْرُبُ نَظَرَاتُهُ مِنِّي وَبَعْضُ دَمْعٍ حَبِيسٍ فِي عَيْنَيهِ يُفْصِحُ؟ لَيتَهُ يُصَارِحُنِي بِمَا يُؤْلِمُهُ فَأُهَدْهِدَ رُوحَهُ وَأُلْلِمُ شَتَاتَ مَشَاعِرِهِ. لَيتَهُ يُفْصِحُ لِي عَمَّا يُتْعِبُهُ فَلَيسَ ثَمَّةَ مَنْ يَهْتَمُّ لَهُ وَلِرَاحَتِهِ مِثْلِي!

انْتَبَهَتْ مِنْ خَيَالِهَا إِذْ وَصَلَ فَسَارَعَتْ وَهِيَ تَمْسَحُ بَقَايَا دُمُوعٍ بَرِيئَةٍ وَتَرْسِمُ بَسْمَةً كَبِيرَةً تَسْتَقْبِلُهُ بِهَا تُغَالِبُ وَجْدَهَا .قَبَّلَ جَبِينَهَا وَضَمَّهَا بِحُنُوٍّ ثُمَّ ابْتَسَمَ شَاكِرًا مَا يَرَى مِنْ حَفَاوَةِ اللِقَاءِ ونَسَائِمِ العِطْرِ فِي الأَجْوَاءِ. أَمْسَكَتْ يَدَهُ بِرِقَّةٍ بَعْدَ أَنْ تَنَاوَلا الطَّعَامَ تَتْبَعُهُ إِلى حَيثُ الْمُتَّكَأِ وَهِيَ تَهْمِسُ بِدَلالٍ:

-اشْتَقْتُ لَكَ يَا جُوزِيفُ.

-وَأَنَا أَكْثَرُ يَا مَارِيَّا.

جَلَسَ وَجَلَسَتْ ، وَعَادَ الصَّمْتُ يَسُودُ المَكَانَ ؛ عَيناهَا تَبحَثُ عَن عَينيهِ الهَارِبتينِ حَتَّى اصْطَادَتهُمَا بِنَظْرَةٍ وَدَمْعَةٍ. تَنَحْنَحَ مُرْتَبِكًا ثُمَّ قَالَ:

-هِيَ زَمِيلَتِي فِي العَمَلِ. لَسْتُ أَعْلَمُ كَيفَ تَسَلَّلَتْ إِلى قَلبِي الذِي يُحِبُّكِ حُبًّا جَمًّا. حَاوَلْتُ الهَرُوبَ وَحَاوَلَتْ فَلَمْ نُفْلِحْ. تَعْلَمِينَ أَنِّي أُحِبُّكِ وَأُرِيدكِ وَلَكنَّنِي مُتَعَلِّقٌ بِهَا أَيضًا بِشَكلٍ يَستَولِي عَلَيَّ وَأَشعُرُ بِحُبِّهَا وَحَاجَتِي لَهَا. هِيَ لَيستْ أَجْمَلَ مِنْكِ وَلا أَرَقَّ وَلَكنْ بِينَنَا مِنَ الاهْتِمَامَاتِ والمُيُولِ مَا يَجْعَلُنِي لا أَستَطِيعُ إِلا أَنْ أُحِبَّهَا وَأُرِيدَهَا.

- أَنَا أُصَارِعُ مَشَاعِرِي هَذِهِ مُنذُ حِينٍ وَأَهْرُبُ مِنْ كُلِّ شِيءٍ إِلَيكِ ؛ أَنْتِ التِي لا مِثلكِ حُنُوًّا وَرِقَّةً وَوَفَاءَ ، وَلَكِنِّي أَفْشَلُ وَأَتَأَلَّمُ بَينَ

رَغْبَتِي بِكِ وَرَغْبَتِي بِهَا .مَالَ عَلَيهَا – وَقَد خَذَلَتْهُ عَينُهُ – وَضَمَّهَا بِرِفْقٍ:

–سَامِحِيني حَبيبَتِي ، مَا قَصَدْتُ أَنْ أُؤْذِيَكِ بِشَيءٍ وَأَنْتِ مَنْ أَغْدَقَ عَلَيَّ بِحُبِّهِ وَاحْتَمَلَ مِنِّي نَزَقِي وَشَارَكَنِي الحَيَاةَ بِحُلوِهَا وَمُرِّهَا.

–لا تَعْتَذِرْ حَبِيبي! لا كُنْتُ وَلا كَانَ مَنْ يَضْطَرُّكَ لأَلَمٍ أَو اعتِذَارٍ!

غَالَبَتْ تَمْسَحُ دُمُوعًا ثُمَّ أَرْدَفَتْ:

–أَنْتَ عِنْدِي كُلُّ هَذِهِ الحَيَاةِ وَمَا أَرَدْتُ يَومًا سِوَاكَ ، وَلَيتَ فِي القَانُونِ مَا يَسْمَحُ فَأَظَلُّ زَوْجَكَ مَا عِشْتُ ، وَتَكُونُ هِيَ لَكَ زَوجًا أَحْتَرِمُ وُجُودَهَا فِي حَيَاتِكَ ، لَكِنَّكَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا مِمَّا لا يَسْمَحُ بِهِ قَانُونُ الدَّولَةِ وَلا حَتَّى الكنِيسَةُ ، وهَا بَاتَ عَلَيكَ أَنْ تَخْتَارَ بَينَنَا غَيرَ مُذَمَّمٍ ، وَإِنِّي لَولا أَنْ تَظُنَّ بِي غَضَبًا مِنْكَ أَو نُفُورًا عَنْكَ لَسَارَعْتُ أُفْسِحُ لَهَا المَكَانَ الذِي يَسْعَدُ بِهِ قَلْبُكَ وتهْنَأُ بِهِ نَفْسُكَ.

اتَّصَلَتْ بِهَا بَعْدَ أَيَّامٍ تُعَدِّدُ مَنَاقِبَ جُوزِيفَ وَتُوصِيهَا بِهِ خَيرًا وَتَتَمَنَّى لَهُمَا

السَّعَادَةَ وَالسُّرُورِ وَتَسْتَأْذِنُهَا فِي أَنْ تَكُونَ صَدِيقَةً لَهُمَا تَطْمَئِنُ عَلَيهِمَا بَينَ الحَينِ وَالحِينِ.

أَغْلَقَتِ الهَاتِفَ وَالتَفَتتْ إِلَيهِ تُغَالِبُ دَمْعَةَ فِرَاقٍ بَابْتِسَامَةِ وُدٍّ وَقَالَتْ:

-أَتَمَنَّى لَكُمَا السَّعَادَةَ ، وَسَأَكُونُ لَكَ دَومًا حَيثُ وَضَعْتَنِي لا يَكُونُ مِنِّي إِلا مَا تُمْلِيهِ فُرُوضُ الحُبِّ الصَّادِقِ. هَلْ تَسْمَحُ لِي بِالاحْتِفَاظِ بِهَذِهِ الصُّورَةِ ذِكْرَى عَهْدٍ مُحَبَّبٍ جَمِيلٍ؟

عَانَقَهَا وَقَبَّلَ رَأْسَهَا وَاخْتَلَطَتْ بَينَهُمَا دُمُوعُ الشَّوقِ وَالفِرَاقِ. لِمَلَمَ يُوسُفُ بَقَايَا أَورَاقِهِ بَعْدَ يَومٍ جَامِعِيٍّ طَوِيلٍ ، وَأَسْرَعَ يَلْبسُ مِعْطَفَهُ الثَّقِيلِ مُحَدِّقًا عَبْرَ النَّافِذَةِ يَنْظُرُ لِنَهَارٍ شُتْوِيٍّ تَكَادُ تَتَفَطَّرُ مِنْ بَرْدِهِ أَكْبَادُ الصُّخُورِ. كَانَ عَلَيهِ أَنْ يُسْرِعَ لإِتْمَامِ بَعْضَ أَوْرَاقٍ عَلَى مَكْتَبِهِ فِي عَمَادَةِ الكُلِيَّةِ ثُمَّ يَنْطَلِقُ لِتَسجِيلِ بَرْنَامَجٍ مُهِمٍّ لإِحْدَى القَنَواتِ الفَضَائِيَّةِ.

-هَذَا مِلَفٌ طَالِبٍ يَرْجُو فِيهِ إِعْفَاءَهُ مِن الرُّسُومِ الجَامِعِيَّةِ لِظَرفِهِ الصَّعْبِ ، وَهَذَا مِلَفٌ جَهَّزْتُهُ لَكَ حَولَ دِرَاسَتِكَ "تَأثِيرُ الحَالَةِ

الاجْتِمَاعِيَّةِ عَلى مُسْتَوَى التَّحْصِيلِ". سَأُجَهِزُّ لَكَ الآنَ فِنْجَانًا مِن القَهْوَةِ وَأُحَضِّرُ لَكَ بَعْضَ أَوراقٍ تَخُصُّ لِقَاءَكَ التِّلْفَازِي بَعْدَ قَلِيلٍ. ابْتَسَمَ لَهَا مُمْتَنًّا ثُمَّ أَنْهَمَكَ فِي إِنْهَاءِ المِلَفَّاتِ سَرِيعًا قَبلَ أَنْ يَدْهَمَهُ الوَقْتُ. هِيَ زَمِيلَتُهُ أَسْتَاذَةٌ تُشَارِكُهُ تَخَصُّصَهُ وَبَعْضَ مَسؤُولِيَاتٍ جَامِعِيَّةٍ أُخَرٍ ، لَكِنْ كَانَ لِلقَدَرِ مَسَارُهُ وَلِلقَلْبِ قَرَارُهُ فَقَدْ شَغَفَهَا حُبًّا بَدَمَاثَتِهِ وَوَقَارِهِ وَرُقِيِّ هِمَّتِهِ. وَمَا زَالتْ تُؤْثِرُهُ عَلَى نَفْسِهَا وَتَتَفَانَى فِي رِضَاهُ وَرِعَايَتِهِ بِرِفْقٍ وَصِدْقٍ حَتَّى وَجَدَ قَلْبَهُ يَنْسَاقُ إِلَيهَا بِلا تَكَلُّفٍ وَنَفْسَهُ تُنَازِعُهُ مَيلَهُ إِلَيها وحِرْصَهُ عَلَى زَوْجٍ يَودُّهَا وَيَسْعَى فِي سَعَادَتِهَا وَرِضَاهَا لا يَرُدُّه عَنْ ذَلِكَ مَا يَجِدُ مِنْهَا مَن كَدَرِ مُغَالِبٍ وَجَدَلِ مُجَاذِبٍ.

لَمْ يَنْسَ مَا كَانَ مِنْ كَدَرٍ أَثَارَتَهُ البَارِحَةَ فَاشْتَرَى طَاقَةَ وَرْدٍ أَنِيقَةٍ فِي طَرِيقِهِ لِلبَيتِ بَعْدَ لِقَاءٍ نَاجِحٍ. لَقَدْ أَحَبَّهَا وَتَوَدَّدَ لَهَا رَغْمَ زَوَاجِهِ التَّقْلِيدِي وَأَلْزَمَتْهُ أَخْلَاقُهُ أَنْ يَحْتَمِلَ مِنْهَا وَأَن يَجِدَ لَهَا العُذْرَ تلوَ العَذرِ ، وَاحْتَوَاهَا فَلَمْ يَضِقْ يَومًا ذَرْعًا بِمَا سَاءَهُ مِنْ نَزَقِهَا وَتَجَاهُلِهَا لِمَشاعِرِهِ بَلْ وَاسْتِخْفَافِهَا بِقَدْرِهِ الذِي يَوَقِّرُهُ الجَمِيعُ. دَخَلَ البَيتَ بِابْتِسَامَةٍ عَرِيضَةٍ يَبْحَثُ عَنْهَا حَتَّى وَجَدَهَا تَحْتَسِي

القَهْـوَةَ بِعُبُـوسٍ ظَـاهِرٍ زَادَ فِي أَثَـرِهِ شَـعَرٌ لَمْ يُسَرَّـحْ وَمَلابِـسُ لَمْ تُهَنْـدَمْ. جَلَـسَ إِلَى جِوَارِهَـا يَحْتَضِـنُهَا فَدَفَعَتْـهُ عَنْهَـا. قَـدَّمَ لَهَـا طَاقَـةَ الـوَرْدِ مُبْتَسِمًا فَأَمْسَكَتَهَا تَنْظُرُ باسْتِخْفَافٍ وَقَالَتْ:

-أَهَذَا كُلُّ مَا قَدِرْتَ عَلَيهِ؟

-لا شَيءَ فِي الكَـونُ أَثْمَـنُ عِنْـدِي مِـن ابْتِسَـامَتِكِ يَـا مَـرْيَمُ ، وَلَمْ يُسْـعِفُنِي وَقْتِي اليَـومَ لأَكْثَـرِ مِـنْ هَـذَا ، وَالـوَرْدُ جَمِيـلٌ عَـاطِرٌ كَشَـوقِي وَعِشْقِي.

-هَـذَا مَـا أَجِـدُ مِنْـكَ دَومًـا ؛ كَلامًـا رَقِيقًـا تُخَـاتِلنِي بِـهِ ، وَحَـدِيثًا عَـنْ شِـوقٍ وَعِشْـقٍ لا أَجِـدُهُ مِنْـكَ ، وَوَرْدًا لا قِيمَـةَ لَـهُ تَظُـنُّ أَنْ تَشْـتَرِيَ بِـهِ رِضَاي.

-هَـلْ سَـتَبْدَئِينَ مُجَـدَّدًا؟ عَشْرُ سَـنَواتٍ عِشْـنَاهَا سَـوِيَّةً لَمْ أَحْرِمْـكِ مِـنْ شَيءٍ مَادِّيًّـا كَـانَ أَو مَعنَويًـا ، أَمْسَـكْتُكِ بِمَعْـرُوفٍ وَحَفِظْتُـكِ فِي نَفْسِي ، وَاحْتَمَلْـتُ مِنْـكِ الجَـورَ حُكْـمًا وَالكَـدَرَ عـَادَةً وَالجُحُـودَ

اسـتِزَادَةً ، وَحَرِصْـتُ جَهْـدِي لأَكُـونَ لَـكِ نِعْـمَ الـزَّوْجِ الحَـافِظِ وَالشَّرِيكِ الحَانِي ، وَلَستُ....

أَأَنَـا مَـنْ يَبْـدَأُ أَمْ أَنْـتَ؟؟ عَشْرُ سَـنَواتٍ وَأَنَـا أَحْتَمِـلُ مَعِيشَـتِي مَعَـكَ وَمَـا عُـدْتُ أُطِيـقُ هَـذَا. أَنْـتَ لا تُقَـدِّرُ قِيمَـة مـا عِنـدِك أَمْ تُـرَاكَ نَسِيتَ كَـمْ تَقَـدَّمَ لِي مَـنْ هُـمْ خَـيرٌ مِنـكَ ، وَكَـانُوا قَـادِرِينَ عَـلَى أَنْ يُـوَفِّرُوا لِي حَيَـاةً أَفْضَـل مِـنْ حَيَاتِـكَ المُقْرِفَـةِ هَـذِهِ. وَيحِـي كَيـفَ رَفَضْـتُهُمْ وَقَبِلْتُ بِكَ! سَامَحَ اللهُ أَبِي.

-وَسَـامَحَ اللهُ أُمِّـي ، وَلَكِنِّـي أُوَفِّـرُ لَـكَ حَيَـاةً كَرِيمَـةً وَأُسْرَةً مُحْتَرَمَـةً وَأَحْفَظُكِ بِالمَعْرُوفِ.

حَـاولَ أَن يَضُـمَّهَا إِليـهِ بِـوُدٍّ فَدَفَعَتـهُ عَنْهَـا بِغِلْظَةٍ. صَـمَتَ قَلـيلا يَبْتَلِـعُ أَلَمَهُ ثُمَّ أَرْدَفَ:

-تَعْلَمِـينَ يَـا مَـرْيَمُ أَنَّـكِ مَـنْ يَبَـادرُ غَالبًـا إِلَى الكَـدَرِ وَالجَـدَلِ والتَّـأَفُّفِ ، وَمَـا أَتَيتُـكِ دَومًـا إِلا بِـوُدِّي وَوَرْدِي ، فَـمَا الـذِي لا

يُرْضِيكِ فِي حَيَاةٍ يَحلُمُ بِهَا الكَثِيرُ؟ هَلْ قَصَّرْتُ بِحَقِّكِ يَومًا؟؟ هَلْ قَسَوتُ عَلَيكِ يَومًا؟؟ هَلْ ...؟

-لا أَعْلَمُ ، لا أَعْلَمُ! كُلُّ ما أَعْلَمُهُ أَنَّكَ مُقَصِّرٌ- مَعِي وَقَاسٍ فِي حُكْمِكَ عَلَيَّ.

-التَّقْصِيرُ وَالقَسْوَةُ مَعَانٍ تَخْتَلِفُ بِحَسْبِ وُجْهَاتِ النَّظَرِ وَمَآرِبِ النُّفُوسِ ، وَإِنَّمَا يَحْكُمُ فِيهِمَا التَّجَرُّدُ وَالصِّدْقُ مَعَ النَّفْسِ ، وَأَنَا أُحَاسِبُ نَفْسِي- تَهذِيبًا كُلَّمَا تَجَاوَزَتْ فَمَا مِنْ أَحَدٍ بَلَغَ حَدَّ الكَمَالِ فَهَلْ بَلَغْتِ؟

-يَكْفِينِي جَمَالِي هَذَا وَكَانَ عَليكَ أَنْ تَكُونَ شَاكِرًا أَنِّي زَوجُكَ. مَنْ كَانَ سَيَقْبَلُ بِكَ إِلا حَمْقَاءُ مِثْلِي؟.

ابْتَسَمَ بِمَرَارَةٍ وَهُوَ يَنْظُرُ بِهُدُوءٍ إِلَى لِبَاسِهَا وَشَعرِهَا وَعُبُوسِهَا. تَنَهَّدَ عَمِيقًا بِينَ حَيرَةٍ وَأَسِف. كَانَ كَثِيرًا مَا يُرَاجِعُ أَمْرَهُ مَعَهَا مُنْذُ تَزَوَّجَهَا ؛ يَأْسَفُ مِنْ تَبَرُّمِهَا وَجُحُودِهَا وَيَتَأَلَّمُ مِنْ إِصْرَارِهَا عَلى أَنْ تَحْشُرَهُ فِي زَاوِيَةِ الاتِّهَامِ بِظُنُونَ لا تُوجَدُ إِلا فِي مُخَيِّلَتِهَا ، وَاليَومَ وَجَدَ نَفْسَهُ أَكْثَرَ إِلحَاحًا فِي

أَنْ يوَاجِهَ حِيرَتَهُ وَتَرَدُّدَهُ وَأن يَرحَمَ نَفْسَهُ التِي لَطَالَمَا آثَرَ عَلَيهَا ، وَقَرَّرَ.

-حَسَنًا يَا مَرْيَمُ ، فَهُنَاكَ مَنْ تَقْبَلُ بِي وَهِيَ رَاضِيَةٌ رَاغِبَةٌ فَخُورَةٌ ، وَلَعَلَّهُ قَد حَانَ الوَقْتُ لأَتَزَوَّجَ بِهَا.

-مَاذَا؟ هَا أَنْتَ تكْشِفُ عَن غَدْرِكَ وخِيانَتِكَ ، وَسَأَعَلِّمُكَ دَرْسًا لَنْ تَنْسَاهُ إِنْ لَمْ تَتَرَاجَعْ عَنْ قَرَارِكَ هَذَا وتَعْتَذِرْ لِي.

-كَلا لَنْ أَتَرَاجَعَ. وَأَنَا لم أَغْدُرْ وَلَمْ أَخْدَعْ وَإِنَّ الذِي أَبَاحَكِ لِي هُوَ مَنْ أَبَاحَ غَيرَكِ. أَنَا لَنْ أَتَخَلَّى عَنْكِ ولَنْ أَهْضِمَ حَقَّكِ ، وَلَكِنِّي أُرِيدُهَا أَيضًا وَأَحْتَاجُهَا.

أَسْرَعَتْ إِلى صُورَتِهَا المُعَلَّقَةِ فِي زَاوِيَةٍ مُهْمَلَةٍ عَلَى الجِدَارِ وَنَزَعَتْهَا نَزْعًا ثُمَّ أَلْقَتْهَا عَلَى الأَرْضِ بِنَزَقٍ لِتُحَطِّمَهُ بِهَا إِلى شَظَايَا مِنْ هَشِيمٍ. أَمْسَكَتْ الهَاتِفَ وَهِيَ تُرْبِدُ بَحْثًا عَنْ أَرْقَامِ أَهْلِهَا:

-سَتَنْدَمُ ، وَسَتَدْفَعُ الثَّمَنَ غَالِيًا!

أَمْسَكَ الصَّحِيفَةَ وَهُوَ يَتَحَسَّسَ جُرْحًا فِي رَأْسِهِ وآخَرَ فِي قَلْبِه يَقْرَأُ بِحَسرَةٍ عُنْوَانًا رَئِيسِيًا "أُسْتَاذٌ جَامِعِيٌّ يَتَعَرَّضَ لِهُجُومٍ هَمَجِيٍّ مِنْ قِبَلِ

مَجْهُولِينَ" ، ثُمَّ التَفَتَ إِلى وَرَقَةٍ وَصَلَتْهُ صَبَاحًا مِنْ مُحَامِيهِمْ تُطَالِبُهُ بِالْمُثُولِ أَمَام المَحْكَمَةِ لِدَفْعِ النَّفَقَةِ وَالْمُقَاضَاةِ فِي طَلَبِ مُخَالَعَةٍ.

د. سمير العمري

شاعر فلسطيني لاجيء ولد في غزة عام1964 ونشأ هناك حتى أكمل دراسته الثانوية قبل مغادرتها في بدايات شبابه لبناء مستقبله ومواصلة تعليمه حيث حصل على إجازته الجامعية كطبيب صيدلاني.

هاجر إلى السويد عام1998 وما زال يعيش هناك

كتب الشعر وهو دون السادسة عشرة، ونشرت له العديد من القصائد والمقالات الفكرية والاجتماعية في الصحف العربية

كتب القصة القصيرة مؤسسا لونا إبداعيا جديدا فيها يقدم النص على القص.

مؤسس رابطة الواحة الثقافية والاتحاد العالمي للإبداع الفكري والأدبي ملتقى النخبة للمفكرين والأدباء والشعراء.

ربيحة الرّفاعي

سَـجِـيّة

تَمَايَلتْ بِدَلالٍ عِندَ حَافَّةِ المَركِبِ، تُغازِلُهَا عَينَاهُ بَيْنَمَا تَكْشِفُ عَضَلَةُ فَكِّهِ المُتَقَلِّصَةُ انزِعَاجًا مِن مُحَادِثَتِهِ عَلَى الطَّرَفِ الآخَرِ مِن خَطِّ الاتِّصَالِ الخَلَويّ. اقتَرَبَت مِنهُ وَمَالَت بِرَأسِهَا عَلَى كَتِفِهِ تَتَأملُ البَحْرَ أَمَامَهُمَا يَمْخُرُ عُبَابَهُ مَركِبُهُمَا الجَمِيلُ وَهُو يَقُولُ مُتَبَرِّمًا يُنْهِي المُكَالَمَةَ:

-أيُّ غَدَاءٍ؟ جَاؤُونِي بِشَطِيرةٍ مَا زَالَتْ أَمَامِي مُنْذُ سَاعَتَيْنِ، لَم أَجِدْ فُرْصَةً لِتَنَاوُلِهَا بَعْدُ ... قُلتُ لَكِ مَشْغُولٌ..مَشْغُول، أَأَترُكُ عَمَلِي لآتِيكِ؟ وَبِذَاتِ الدَّلالِ وَضَعَتْ فِي فِيهِ قِطْعَةً مِن حَبَّةِ الدُّرَّاقِ التَقَطَهَا وَأَطرَافَ أَنَامِلِهَا مُدَاعِبًا، لِيَغرَقَا فِي مَوْجَةٍ مِن الضَّحِكِ، نَسِيَ مَعَهَا تَشَنُّجَهُ مِنْ مُكَالَمَةٍ انْتَهَت، وَغَابَا فِي جَلْسَةٍ هَانِئَةٍ عَلَى حَافَّةِ المَركِبِ تَتَغَنّى بِشَقِّهِ المَاءَ ذَاتَ اليَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ، وَخَرِيرُهُ تَحتَهُ مُوسِيقَى تُرَافِقُ صَوْتَهُ يَرْسُمُ لَهَا جَنَّةً سَتَدخُلها بِزَوَاجِهِمَا.

رَفَعَتْ بِتَنْهِيدَةٍ وَلْهَى رَأسَهَا المُلْقَى عَلى ظَهْرِ المَقعَدِ عَائِدَةً لِلوَاقِعِ مِن ذِكرَيَاتٍ تَستَعِيدُهَا بِحَنِين، وَتَفَقَّدَتِ المَائِدَةَ أَمَامَهَا مَفْرُوشَةً بِمَا لَذّ، تَزِينُهُ بَاقَةُ وَرْدٍ وَشَمعَدَانٌ أَهدَاهُ إِلَيْهَا قَبلَ زَوَاجِهِمَا، تَحَسَّسَتهُ بِأَصَابِعَ مُرْتَعِشَةٍ انحَدَرَت عَلَى تَعَارِيجِهِ نَحْوَ هَاتِفِهَا الخَلِيَويّ، تَنَاوَلَتهُ تَتَأَمَّلُ صُورَتَهُ عَلَى الشَّاشَةِ الكَبِيرَةِ بِضَحكَتِهِ السَّاحِرَة، وتَتَذكّرُ يَومَ التَقَطَتْ لَهُ تِلكَ الصُّورَةَ عِندَمَا انفَجَرَ ضَاحِكًا لِشَكلِهَا فِي سُترَتِهِ الضَّخمَةِ الَّتِي خَلَعَهَا لِيَضَعَهَا عَلَى كَتِفَيهَا تُدفِئُهَا مِن نَسْمَةِ بَردٍ فِي رِحلَةٍ رَبِيعِيَّةٍ. "اشتَقْتُ لِضَحْكَتِكَ الغَالِيَةِ حَبِيبِي" فَكَّرَت بِشَوقٍ وَضَغَطَت الأَرقَامَ تَطلُبُهُ فَجَاءَ الصَّوتُ الحَبِيبُ مُغَرِّدًا:

-حَيَاتِي

-تَأَخَّرتَ حَبِيبِي، أَعَدْتُ تَسخِينَ الطَّعَامِ مَرّتَين .

-سَامِحِينِي يَا غَالِيَة، مَشْغُولٌ.

-أَلَن تَأتِيَ لِتَنَاوِلِ الغَدَاءِ مَعِي؟

-مَشغُولٌ أُقْسِمُ، لَا أَستَطِيعُ حَتّى تَنَاوُلَ شَطِيرَةٍ، سَامِحِينِي.

مَسَحَت بِطَرَفِ إِصْبَعِهَا دَمْعَةً سَالَتْ عَلَى وَجْنَتِهَا بَينَمَا يَتَسَلَلُ لِأُذُنِهَا عَبرَ سَمَّاعَةِ الهَاتِفِ صَوْتُ خَرِيرِ المَاءِ تَحتَ المَركِبِ.

جِلْدُ طَيْفٍ

أَغرَقَهَا كَعادَتِهِ فِي مَوجِ عَواطِفَ لا قِبَلَ لِقَلبِهَا الطِّفلِ الغَافِلِ بِجَمَالِهَا، وَرَسَمَ لَهَا بِعَذْبِ حَرْفِهِ حَدَائِقَ نَرْجسٍ، بَدْرُهَا خَالِدٌ، وَنُجُومُهَا زُهْرٌ حَنيَّات، تُهَدهِدُهَا هَمْهَمَاتُ شَفَتَيْهِ عَلَى صَفْحَةِ قَلْبِهَا فَتَغْفُو عَلَى خُدُودِ الوَرْدِ، وَتُدَاعِبُهَا هَسْهَسَاتُ نَبْضِهِ فِي أُذُن حَنِينِهَا، فَتَتَمَطَّى مَعَ غَزْلِ الشَّمسِ لِخُيوط ابْتِسَامَةِ فَجْرٍ نَدِيَّةٍ عَلَى بَتَلاتِ السِّحْرِ المُتَفَتِّحَةِ أَجِنَّةً قَيْدَ اكْتِمَالٍ فِي ظِلالِ جَفْنَيْهِ، لِتَجِدَ ذِرَاعَيْهِ مَفتُوحَتَيْنِ عَلَى مِسَاحَةِ الدُّنيَا تَحْتَوِيَانِهَا فِي خَيْمَةِ صَدْرٍ لا يَهُونُ وَلا يَخُونُ، تَحْتَمِي فِيهِ مِنْ صَعْقِ بَرْقِ الشَّرارَاتِ المُكَهْرَبَةِ بَيْنَ صَبرِهَا وَقَسْوَةِ عُمْرِهَا، فَتَحظَى بِفُسْحَةٍ مِنْ طُمَأْنِينةٍ وَسَلامٍ، وَتُطْلِقُ العِنَانَ لِأَحْلامِهَا بِوَفَاءِ دَيْنِهِ، تَهَبُهُ نَفْسَهَا عَجِينَةً تَتَثَنَّى بَينَ أَنَامِلِهِ وَتَتَمَايَلُ عَلَى أَلحَانِ أَمَلِهِ كَجِنِّيَةٍ طَالِعَةٍ مِنْ فَانُوسِ أُسطُورَةٍ ، تَقْرَأُ فِي قَلْبِهِ نَجْوَاهُ وَحَنِينَهُ، وَتَتَلَمَّسُ فِي نَبْضِهِ هَوَاهُ فَتَكُونُهُ، لا

يُثْنِيهَا عَنِ التَّعَلُّقِ بِأَذْيَالِهِ قِطَّةً عَاشِقَةً غَيْرُ تَوْقِهِ لِلانْفِرَادِ بِأَحزَانِهِ إِذْ لا يَجِدُهَا إِلَى جِوَارِهِ حِينَ يُرِيدُهَا فِي غَفْلَةٍ مِنْ مَشَاغِلِهِ.

تَنْزَوِي فِي رُكْنِ تَوْقِهَا إِلَيْهِ مُسْلِمَةً الرُّوحَ لأَجْنِحَةِ الخَيَالِ تَحْمِلُهَا إِلَى حَيثُ هُو، فِي جَوْقَةٍ مِن أَسْرابِ الفَرَاشِ تَعْزِفُ عَلَى أَوْتَارِ النَّسِيمِ لَحْنَ هَوًى تَمِيسُ عَلَى أَنِينِهِ مُسْتَكِينَةً لِإِيقَاعٍ لا يَعِيهِ سِوَى قَلبِهَا، يَرِفُّ وَيَضْطَرِبُ كَعُصْفُورٍ صَغِيرٍ يَضِيقُ بِأَسْرِ القَفَصِ الَّذِي يَحْتَوِيهِ، وَيَتَقَافَزُ نَحْوَ الشُّرُوقِ الآسِرِ فِي عَيْنَيْهِ إِنْ تُشْرِقَا بِابْتِسَامَةٍ.

عَبَثًا حَاوَلَتِ البُكَاءَ حِينَ أَجْبَرَهَا ضَبْحُ شَمسِ الحَقِيقَةِ عَلَى فَتْحِ عَينَي خَيَالِهَا لِتَرَى الوَجْهَ الآخَرَ لَلضِّياءِ، عَبَثًا حَاوَلَتِ الصُّرَاخَ لِيَسْمَعَهَا فِي تِيهِهِ، لكِنَّهَا اسْتَحَالَتْ تِمْثَالًا صَقِيعِيًا، تَحَجَّرَتْ عِنْدَ طَرَفَيْ عَيْنَيهِ بِذُلِّ الصَّمْتِ، مَاسَتَانِ بَرّاقَتَانِ تَعْكِسَانِ فِي البَسْمَةِ الجَوْفَاءِ فِيهِمَا لَوْنَ المَوْتِ، فَأَغْلَقَتْ أَبْوَابَ بَرْدِ شِتَائِهَا دُونَ شَمْسِ صَيْفِهِ، وَأَسْلَمَتْ نَفْسَهَا لِأَسْيَافِ الظَّلامِ تُمَزِّقُ مَا بَقِيَ مِنْ كِيَانِهَا، لِتَسْتَجْدِيَ القَلْبَ نَزْفَهُ، تَجْدِلُ مِنْهُ سَوْطًا يَجْلِدُ طَيْفَهُ.

العنقاء

أَمسَكَتْ بَيْنَ رَاحَتَيْنِ مُلْتَهِبَتَيْنِ بِقَمِيصِهِ تَشُمُّهُ شَاهِقَةً بِهَلَعٍ، وَتَضُمُّهُ غَارِقَةً بِوَجَعٍ، ، غَيْرَ عَابِئَةٍ بِدُمُوعٍ بَلَّلَتهُ هَطَلَتْ مِنَ الْعَيْنَيْنِ مِدْرَارًا، فَحَفَرَتْ فِي الْخَدَّيْنِ لَهَا مَسَارًا، وَعَادَتْ فِي ذَاكِرَةِ الألَمِ تَفْتَحُ صَفَحَاتٍ كَانَتْ تَقْلِبُهَا عَلَى مَضَضٍ، مُؤَمِّلةً بِإِشْرَاقِ شَمْسِ ضَمِيرِهِ فِي عُمْرِهِمَا ذَاتَ فَجْرٍ، تُحْيِي قَلْبًا هَدَّهُ الْغَدْرُ وتُنْجِدُ عُمرًا أَكَدَّهُ الْصَبْرُ ونَسَجَتْ فِيهِ عَنَاكِبُ الْقَهْرِ بِيُوتَهَا تَلْتَقِطُ فَرَاشَاتِ الْأَمَلِ فَتَمْتَصُّهَا حَدَّ الْمَوْتِ وتُلْقِي بِهَا فِي سِجِلَّاتِ الْخَيْبَاتِ.

مَاذَا سَتَفْعَلُ وَلَمْ يُبْقِ لَهَا أَمَلاً بِحَلٍّ، بَلْ صَارَ أَشَدَّ قَسْوَةً وأَكْثَرَ جَفْوَةً بَعْدَ كُلِّ مُوَاجَهةٍ تُعَاتِبُهُ فِيهَا عَنْ زَلَلٍ، حَتَّى بَاتَ كُلَّمَا وَجَدَهَا انْتَشَلَتْ عَنْ أَرْضِهِ دَلِيلَ غَدْرٍ جَدِيدٍ، بَادَأَهَا الْعِتَابَ مُتَّهِمًا إيّاها بِالْخَطَلِ وطَاعِنًا فِكْرَهَا بِالْخَبَلِ، لَا يَسْمَعُ ولَا يُعِيرُ اهْتِمَامًا لِمَنْ تَكَادُ تَسْتَحِيلُ فِي نَظَرِهِ أَدَاةً لا تَعِي ولَا تَتَوَجَّعُ، وهِيَ مُلْقَاةٌ قَيْدَ طَعْنَةٍ تَالِيَةٍ عَلَى زَاوِيَةِ الْمُنَى، تَتَفَكَّرُ بِمَا

يُمْكِنُ أَنْ تَنْتَهِيَ إِلَيْهِ مُوَاجَهَةٌ جَدِيدَةٌ سِوَى إِمْعَانٍ بِإِيلامٍ، وإِنْكَارٍ لِكُلِّ اتِّهَامٍ، ولَعِبٍ عَلَى مَعَانِي الْكَلَامِ، يَنْقلُهَا لِصَفِّ الْدِّفَاعِ، مُشْهِرًا فِي وَجْهِهَا سَيْفَ مَكْرِهِ وَمُقِيمًا عَلَيْهَا حَدَّ التَمَادِي بِهَجْرِهِ.

لَنْ تَقْفِزَ فِي وَجْهِهِ كَمَا فَعَلَتْ يَوْمَ عَادَ إِلَيْهَا بِأَحْمَرِ الْشَّفَاهِ يُلَوِّثُ يَاقَتَهُ، ويَكْشِفُ بِلَوْنِهِ الْصَّارِخِ طَبْعَ وَمُستَوَى صَاحِبَتِهُ، فَأَطْرَقَ خَجَلاً لِدَقَائِقَ قَبْلَ أَنْ يَهُبَّ فِيهَا لائِمًا مُؤَنِّبًا ومُحَمِّلاً لَهَا مَسْؤُولِيَّةَ وُقُوعِهِ فِي بَرَاثِنَ أُخْرَى، وَلَنْ تُعَاتِبَهُ بِهُدُوءٍ مُغَالِبَةً دُمُوعَهَا كَمَا فَعَلَتْ يَوْمَ قَضَتْ لَيْلَتَهَا قَلِقَةً عَلَيْهِ مُنْشَغِلَةً بِتَدْلِيكِ قَدَمِهِ لِألَمٍ يَشْكُوهُ اكْتَشَفَتْ سَبَبَهُ فِي الْصَّبَاحِ، حِينَ رَأَتْ أَثَرَ كَعْبِ حِذَاءِ شَرِيكَتِهِ فِي الْرَّقْصِ وَقَدْ خَدَشَ حِذَاءَه وَطَبَعَ عَلَامَاتِهِ عَلَيْهِ.

عَادَتْ لِلْقَمِيصِ تَشُمُّهُ مُتَأَوِّهَةً وَتَمْسَحُ بِهِ الْدُّمُوعَ عَنْ خَدَّيْهَا، مُستَعِيدَةً استِنْشَاقَ الرَّائِحَةِ التّي يَحْمِلُ، هِيَ تَعْرِفُ صَاحِبَةَ هَذَا الْعِطْرِ الْرَّخِيصِ، الَّذِي يُبَاعُ عَلَى أَرْصِفَةِ الْأَسْوَاقِ الْشَعْبِيَّةِ، وقَدْ لَاحَظَتْ نَظَرَاتِهَا تَتَحَرَّشُ بِهِ فِي أَكْثَرِ مِنْ مُنَاسَبَةٍ، لَكِنَّهَا لَمْ تَتَخَيَّلْ أَنْ يَنْحَدِرَ هُوَ إِلَى حَيْثُ يَصِلُ

عِطْرُهَا لِقَمِيصِهِ، وَلَمْ تَعُدْ تَعْرِفُ أَهُوَ هُو، أَهُوَ مَنْ أَحَبَّتْهُ واخْتَارَتْهُ رَبّاً لِقَلْبِهَا وَسَيِّدًا فِي عُمْرِهَا؟

رُبَّمَا كَانَ عَلَيْهَا أَنْ تَنْسَحِبَ مُنْذُ الْطَعْنَةِ الأُولَى، لَكِنَّهَا سَمِحَتْ لَهُ بِزَعْمِ الْوَفَاءِ أَنْ يُؤَرْجِحَهَا بَيْنَ غَضَبِهِ وَرِضَاه، حَتَّى فَقَدَتْ قُدْرَتَهَا عَلَى الْفَرَحِ بِهَذَا أَوْ الْقَلَقِ مِنْ ذَاكَ، وَهِيَ الْيَوْمَ أَعْجَزُ من أَنْ تَعِدَ نَفْسَهَا بِالصِّرَاخِ فِي وَجْهِهِ ؛ ثَوْرَةً لِكَرَامَةٍ هَدَرَتْهَا طَوِيلاً عَلَى عَتَبَاتِ اسْتِرْضَائِهِ، هِيَ لَمْ تَعُدْ تِلْكَ الْعَنْقَاءَ لِتُبْعَثَ مِنْ كُلِّ مَوْتٍ قَوِيَّةً صُلْبَةً مِنْ جَدِيدٍ، ولِلْطَعْنَةِ فِي صَدْرِهَا الْيَوْمَ مَذَاقٌ آخَرُ، شَيْءٌ مَا قَدْ تَغَيَّرَ... حَمَلَتِ الْقَمِيصَ لِتُلْقِيَهِ بِهُدُوءٍ فِي حَوْضِ الْغَسِيلِ، فَتَسِيلَ مَعَ الْمِيَاهِ بَقَايَا رَائِحَةِ الْعِطْرِ الْنِسَائِيِّ الْعَالِقَةُ بِهِ، والْتَفَتَتْ نَحْوَ الْمِرْآةِ تَلْتَقِطُ عَنْ حَافَتِهَا قَلَمَ أَحْمَرِ الْشَفَاهِ الَّذِي يُفَضِّلُ، تُجَدِّدُ بِهِ تَلْوِينَ شَفَتَيْهَا، وَتَتَوَعَّدُ نَفْسَهَا بِالْعُقُوبَةِ، سَتَجْلِدُهَا بِسِيَاطِ الْوَفَاءِ لَهُ حَتَّى تَصْحُوَ أَوْ تَمُوتَ.

وَدَاعٌ

انْكَمَشتْ عَلَى حَافّةِ السَّرِيرِ مِثْلَ قِطَّةٍ مَذْعُورَةٍ بَيْنَما تَنْهَالُ عَلَيْها سِيَاطُ ذلِك الصَّوْتِ الغَاضِبِ خَارِجَ بابِ حُجرَتِها تَؤُزّ رُوحَها...

-أنتَ تُحِبُّهَا وَتَكْتَفِي بِها .

-أنتِ مَجْنُونَة.

-بَلَى ، تُحِبُّهَا هِيَ، وما تَزَوَّجْتَ بي إلا لِتُصْبِحَ أَبًا، وَلكِنْ لا... أَنَا لا أُرِيدُهَا جُزْءًا مِنْ حَيَاتِي، وَلَنْ أَتْرُكَ لَكُمَا أَوْلادِي، سَأَتْرُكُ المَنْزِلَ لَكَ وَلَهَا فَأهْنَأ بِهَا.

أَضْنَاهَا العَجْزُ وَالإِحْسَاسُ بِالهَوَانِ، وَازْدَادَتِ انْكِمَاشًا فِي زَاوِيَةِ السَّرِيرِ بِهَامَةٍ حَنَاهَا القَهْرُ وَقَامَةٍ هَدَّهَا الدَّهْرُ، وَبِصُعُوبَةٍ اجْتَهَدَتْ فِي مُغَالَبَتِهَا، رَفَعَتْ عَيْنَيْهَا تَسْتَقْبِلُهُ يَدْخُلُ الحُجْرَةَ عَلَيْها مَهْمُومًا مُحْبَطًا يُحَمِّلُ مَلامِحَ

وَجْهِهِ مِنْ الحُزْنِ مَا أَكَدَّ قَلْبَهَا وَدَكَّ عَزِيمَةً كَانَتْ تُحَاوِلُ اسْتِجْمَاعَهَا لِتَتَمَاسَكَ.

أَفْلَتَتْ دُمُوعُهَا غَزِيرَةً حَارِقَةً ، وَهُوَ يَشْتَكِي لَهَا مِمَا سَمِعَتْ وَعَرَفَتْ، وَعَيْنَاهَا تَحْتَضِنَانِ غصَّتَهُ وَحُرْقَتَهُ، بَيْنَمَا تُؤَكِّدُ لَهُ رَغْبَتَهَا وَاسْتِعْدَادَهَا لِمُسَاعَدَتِهِ بِكُلِّ مَا تَمْلِكُ لَوْ تَسْتَطِيعُ.

وَبِعِيٍّ مَمْجُوجٍ قَال: " تَسْتَطِيعِينَ؛ هِيَ تَغَارُ مِنْ إِحْسَاسِهَا بِحُبِّي لَكِ، تَتَصَوَّرُ أَنِي أُحِبُّكِ أَكْثَرَ مِنْهَا، وَتُرِيدُنِي لَهَا وَحْدَهَا..

أَعْطِهَا ذَلِكَ الإِحْسَاسَ أَرْجُوكِ، أَقْنِعِيهَا بِأَنَّهَا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْكِ، أُطْلُبِي مِنْهَا مَثَلا أَنْ تَتَوَسَّطَ لَكِ عِنْدِي فِي بَعْضِ حَاجَاتِكِ."

أَطْرَقَتْ تُغَالِبُ دُمُوعَهَا وَهِيَ تُفَكِّرُ بِحَسْرَةٍ....

-أَنَا؟ أُقْنِعُهَا أَنِّي أَحْتَاجُهَا جِسْرًا بَيْنَنَا؟ لا يَا مُهْجَتِي ... لَسْتَ مُضْطَرًّا لِذَلِكَ، وَلا أَنَا، وَرَحْمَةُ رَبِّي أَوْسَعُ مِنْ أَنْ أَهُونَ.

وَبِضَعْفٍ حَرِصَتْ عَلَى أَنْ يَبْدُو هُدُوءًا، أَسْنَدَتْ ظَهْرَهَا إِلَى حَافَّةِ السَّرِيرِ تَحْمِدُ اللهَ عَلَى أَنْ مَنَحَهَا هذا المُتَّكَأَ تَتَقَوَّى بِهِ عَلَى ضَعْفِ ظَهْرِهَا، فِي لَحْظَةٍ

أَرَادَتْ فِيهَا أَنْ تَبْدُوَ أَقْوَى مَا تَسْتطِيعُ، وَهِيَ تَقُولُ:

-بَلْ أَنَا مَنْ سَيَتْرُكُ لَكُمَا الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا

لَيْتَني مَا أَسْكَنْتُكَ يَوْمًا أَحْلامِي، وَلا نَسَجْتُ فِيكَ أَوْهَامِي،

لَيْتَكَ مَا سَكَنْتَ يَوْمًا جَسَدِي يَا فِلَذَةَ كَبِدِي .. يا وَلَدِي...

ربيحة الرفاعي

أديبة وشاعرة أردنيّة الجنسيّة ، من أصل فلسطيني. ذات عطاء شعريّ مميّز، برعت في الشّعر العمودي، ولها قصائد جميلة في شعر التّفعيلة / السّطر، لكنّها أميل للشّعر العربيّ الأصيل، والقصائد التي تلزم أطر بحور الشّعر الفراهيديّة. وهي من كتّاب القصّة القصيرة، ولها كتابات نثريّة مميّزة، غير أنّ عطاءها الشّعري كان دائما أبرز. مهتمة بالعمل الثّقافي والنهضوي.

انجازاتها الأدبيّة:

نشرت لها العديد من القصائد والقصص والمقالات الاجتماعيّة في الصّحف العربيّة.

كتبت في عدد من الصّحف الأردنيّة، والمجلات الخليجيّة قبل أن تنسحب من العمل الصّحفيّ، وتتفرغ للكتابة الأدبيّة.

حصلت في مقتبل عمرها على جائزة رابطة الكتّاب الأردنيّين للأدباء من غير الأعضاء عن مشاركتها في مجال القصّة القصيرة.

نشاطاتها:

عملت في الكتابة الصّحفية خلال عقدي الثّمانينات والتّسعينات، وكانت لها نشاطات مختلفة في القضايا النسائيّة وشؤون التوعية النّسويّة.

تركز عملها في الحقل الصّحفي بالتّحقيقات الصّحفية في القضايا الاجتماعيّة والإنسانيّة، وامتازت كتاباتها بالجدّيّة والالتزام.

عضو رابطة الواحة الثّقافيّة.

صدر لها كتاب مشترك مع كاملة بدارنة بعنوان: أنسام وعواصف.

من رواد القصة الشاعرة التي تعتبر لونا أدبيا مبتكرا.

كاملة بدارنة

نادر

جَلسَ وقدْ عَصَبَ التّعبُ جسمَهُ وفكرَهُ، هبّتْ نسماتٌ رقيقةٌ ناعمةُ اللّمساتِ حرّرَ بها بعضًا من روابطِ جسدِهِ المنهك، فحملتْ أجنحةُ النّسيمِ روحَهُ إلى قريتهِ التي لم يزرْها منذُ مدّة، وسافرَ إليها مخترقًا ومسترجعًا من بوّاباتها دروبَ حياتهِ...

توغّلَ في زقاقِ طفولتهِ عازِفا ..

نشأَ في عائلةٍ ميسورٌ حالُها، هانئٌ بالُها، وعالٍ مقامُها، فرضعَ منذُ نعومةِ أظفارِهِ الخُلقَ السّويّ، وكان المميّز على أقرانهِ وأترابه. مشى في دربِ شبابهِ وتعلّمهِ منشِدا ..

لا يذكرُ أنّهُ حادَ مرّةً عن جادّةِ الصّواب، أو عاشَ نزقَ الشّبابِ الذي تباهى به رفاقُهُ، ممّن مازحوهُ مستعرضينَ أمامَهُ غراميّاتِهم في فترةِ مراهقتِهم، وعلاقاتِهمُ النّسائيّةَ في شبابِهم، وكان ردّهُ ابتسامةً ساخرةً،

داعيًـــا لهـــم بالهدايـــةِ والابتعـــادِ عـــن ســـبلِ الغوايـــة. غاصَ في شبابهِ في بحرِ نظريّاتِ العلـومِ الفيزيائيّـةِ التـي أحـبَّ الغـوصَ بينِ أمواجِ رموزِها وقوانينِها!

كلُّ ما يهمُّهُ هو التّحصيلُ العلميّ، وكلّما ازدادَ علمُهَ نجاحًـا، ازدادَ بـاللهِ إيمانًا وبنفسِهِ ثقةً، وازدادتِ العائلةُ به تباهيا.

رقصَ في ساحةِ الثّقافةِ والعلمِ جذلان ...

لم تقتصرْ ثقافتُهُ على ما يتلقّاهُ في أروقةِ الجامعة، بل راحَ يضيفُ لزهراتِ علمِهِ بتلاتِ علومٍ أخرى. ولشدَّ مـا أعملـتْ فكـرَهُ نظريـةُ "فرويـد" في علمِ النّفسِ خاصّةً فيما يخصُّ مركباتِ النّفسِ البشريّة: "الهو" و "الأنا" و"الأنا الأعلى."

أعجبهُ التّقسيمُ لأنّهُ صنّفَ شخصَهُ ضمنَ مَن يسيرُ مُحكِمًا رسـنَ "الهـوَ" القابعَ في مربّعِ الغرائز، ومعتزًّا بأناه المصقولةِ على القيّمِ والمبادئ السّاميةِ والتّفكيرِ الصّواب.

لشدّةِ إعجابِهِ بأناه، وتحقيقِ ما يصبو إليهِ أعجبَ بجملةِ "أنتَ تجْذبُ إليكَ ما تفكِّرُ بهِ معظمَ الوقت"* واتّخذها مفتاحًا لفتحِ بوّاباتِ بساتينِ نجاحاتِهِ، وكان متباهيا؛ لأنَّ نفسَهُ تجذبُ النّجاحَ والخيرَ فقط، فيقطفُ الثّمارَ اليانعةَ حسبَ شهيتِهِ، ويتلذّذُ بمذاقِها. وأجودُ الثمارِ طعمًا وحجمًا كانتْ شهادةَ الدكتوراة ...

شبّهَ من يعرفهُ بالعالمِ الناسكِ في زمنٍ قلَّ فيهِ النسكُ والنسّاكُ. ووصمَهُ الجاهلونَ حقيقتَهُ بالمتخلّف، غيرِ الاجتماعي، الذي لا يجرؤ على مجاراةِ العصرِ والنّاسِ بانفتاحِهم، ويقبعُ في صومعةِ السّلفِ واهمًا أنْ يسُرَّ علمَهُ ومبادئَهُ للخلَف.

جالَ في الغابةِ مترنّحا...

لبثَ مدّةً غيرَ يسيرةٍ يُكْثرُ من مساعيهِ المكّوكيّةِ في المؤسساتِ الرّسميّة؛ بحثًا عن عملٍ لائقٍ بهِ. ولحُسْنِ حظّهِ تصادفَ - وقانونَ جذبِهِ - أثناءَ جولاتِهِ بشخصٍ عَرَضَ عليهِ المساعدةَ، وتوطّدتْ روابطُ الألفةِ بينهما؛

لأنّهُ أظهرَ له قلقَهُ وحرصَهُ عليهِ ليجدَ العملَ الملائمَ. فهو عانى ما يعانيهِ حتّى استقرَّ في عملهِ الحاليّ!

دعاهُ لتناول طعامِ الغداءِ في أحدِ مطاعمِ مدينتهِ الفارهة، حرصًا منهُ على إراحةِ أعصابِهِ، التي تعبتْ لكثرةِ ما قرأَ من ردودٍ لطلباتهِ التي بدأتْ بكلمةِ نأسف...

جلسَ الاثنانُ، كلٌّ ينضحُ ما في إنائهِ، وتمخّضَ حديثُهُ عن قناعتهِ بأنّهُ سيحقّقُ هدفَهُ، وسيجدُ العملَ الملائمَ، لأنَّ القوى الكونيّةَ العليا سوفَ تساعدُهُ في تلبيةِ رغباتهِ فهو لا يجذبُ سوى الخير! تكررتْ الجلساتُ والمصارحاتُ بينَ الزميلينِ حتى باتَ يعرفُ الواحدُ منهما الكثيرَ عنِ الآخر.

جلسا ذاتَ مساءٍ في المطعمِ الذي اعتادا الركونَ إليهِ، فلفتَ نظرَ نادرٍ الدّكتورِ في العلومِ الفيزيائيّةِ، أنّ فتاةً تجلسُ قُبالتهُ تحتويهِ بنظراتِها، ، وكلَّما رفعَ نظرَهُ ووقعَ عليها، أحسَّ أنَّها تفترسُهُ بكلِّ حواسِّها.

اقتربتْ من طاولةِ جلوسِهما، واستأذنتْ في المشاركة، فلمْ يعترضْ زميلُهُ ودعاها للجلوسِ؛ موضّحًا له أنَّها زميلتُه . شاركتهما الحديثَ معرّفةً شَخصَها ، ومبديةً اهتمامَها بالعلومِ الفيزيائيّة - موجِّهةً الحديثَ لنادر - بعد أنْ عرفتْ من زميلها ما يكابدُهُ لإيجادِ عمل ، وأنّها مستعدّةٌ لمساعدتهِ ؛لأنّها ابنةُ شخصيّةٍ مرموقة!

عامَ بين أمواجِ العاطفةِ والفكرِ متحيّرا.. لم يدرِ "نادر" ما الذي جرى لدقّاتِ قلبهِ حتى تسارعتْ إلى حدِّ الإزعاج، منذُ أنْ سقطَ إشعاعُ ناظريهِ على تلكَ الصّبيّةِ، التي لم يعترضْ على اقتحامِها المكانَ، والجلوسِ إلى جانبهِ وكأنَّها أحسَّتْ بالإشعاعاتِ المنبعثةِ من قلبهِ وجاءتْ مطفئةً وهجَها!

بيدَ أنَّ بعضَ الشّكوكِ ساورتهُ فيما يخصُّ لهجتَها العربيَّةَ غيرَ المتقنةِ .صارحَ زميلَهُ بذلك عندما بقيا وحدهما، فأقنعهُ أنَّ لهجتَها تشيرُ إلى كونِها مولَّدَةً، فهو يعرفُ أنَّ العائلةَ التي ذكرتِ انتسابَها لها هي عائلةٌ عربيةٌ عريقةٌ في الأصالة !

قضى نادرٌ ليلتَهُ متمَلْمِلاً في فراشهِ، ليس لأنَّهُ لم يفلحْ بعدُ في الحصولِ على إحدى ضفائرِ الآمالِ التي جدَّلَها أثناءَ مشوارهِ التّعليميِّ، وشكلَها بمشكالِ قانونِ الجذبِ، بلْ لأنَّ ضفائرَ أفكارهِ التي أحكمَ ربطَها بالنّسبةِ للعشقِ والغراميّاتِ بدأتْ تتفكَّكُ وبسرعةٍ مذهلةٍ دونَ تخطيطٍ أو تفكير.

انا لا أؤمنُ بالعشوائيّةِ والصُّدفة. لكلِّ خطوةٍ في حياتي مخطّطٌ ، حتّى وإنْ سارتْ حياتي على منوالٍ واحدٍ: في الأبحاثِ والدّراسات. يبدو أنَّ الزّميلَ الجديدَ الذي يحاولُ احتلالَ معظم أوقاتي، قد يغتصبُ الكثيرَ من ذاتيّتي، ويجعلُني مثلَ أولئكَ الجامعيينَ الذينَ تعبتُ كثيرًا أثناءَ مخالطتِهم؛ للحفاظِ على مجالي منهم، وعلى عالمي البرزخيِّ الذي ضمَّ القلائلَ ممّنِ استسغتُ أفكارَهم وطباعَهم وطابَ لي مقامُهم. وها هوَ ذا اليومَ يسمحُ لفتاةٍ بالاقترابِ مني دونَ إذني ! يجبُ أنْ أفكِّرَ مليّاً في إيجادِ الوسيلةِ للتّقليلِ من لقاءاتي وإيّاهُ، ربما أعودُ لبعضِ الوقتِ إلى قريتي ...

فجأةً، قطعتْ عليهِ مشاعرهُ- دونَ استئذانٍ من عقلهِ- حبالَ تفكيرِهِ، وطفتْ صورةُ الفتاةِ إيّاها على سطحِ مشاعرهِ وأفكارهِ، فانتابتهُ الحَيرةُ، وحاولَ أنْ يعيدَ المجدافَ للفكرِ والعقلِ. فلا يعقلُ أنْ تسمحَ أناهُ "للهو" أنْ يتغلّبَ على "الأنا الأعلى" الذي يتغنّى بهِ . لم يجذبِ العشقَ إلى محيطِ رغباتهِ. هو يؤمنُ بالزّواجِ في وقتهِ المناسبِ كحياةٍ مشتركةٍ يسودُها الحبُّ والتّفاهم . أمّا أنْ تنفلتَ الرّغباتُ من عقالِ المعقولاتِ، فذاكَ ما لم يحسبُ له حسابًا. وظلَّ مغمورًا بمزيجِ العقلانيّاتِ والشهوانيّاتِ، ولا يدري ما يجْذبُ ولمنِ السّيطرةُ؟!

استقرَّ وَ ..

لم يستطعِ العودةَ إلى قريتهِ لأنَّ زميلَهُ جاءهُ بأسماءِ مؤسّساتٍ تبحثُ عن مختصينَ أمثالِهِ، وشاركهُ قرعَ الأبواب إلى أنْ وجدَ ضالّتَهُ .وأخبرتهُ فتاتُهُ – التي يخشى أن يعترفَ لنفسهِ بعشقِها - أنَّ لها الدّورَ الفعّالَ فيما وصلَ إليه!

غرقَ في عالمِهِ الجديدِ، ورغمَ كلِّ الإرهاقِ كان سعيدا؛ لأنَّهُ تأكّدَ أنّهُ جذبَ إليهِ ما يريد.

ازدادتْ لقاءاتُهُ بفتاتِهِ، وازدادتْ قوةُ إشعاعِ قلبِهِ بزيادةِ الجلساتِ معها. كان يحسُّ أحياناً أنَّها تتقصّد الاقترابَ منهُ. فماذا يفعل؟ هل يعترفُ لها بمشاعرهِ متنازلاً عمّا يتباهى بهِ، وملصقاً حروفَ ختمِ الفوزِ" للهوَ" أم ينتظرُ منها البوحَ لهُ بمشاعرِها – التي يشعرُ أنّها تسيّجُهُ – مثلما فعلتْ إحدى الطّالباتِ أثناءَ دراستهِ في أولى سنيّ تعليمهِ الجامعيّ ، ورفضتْ أناه الرّدَّ ترفّعا !

مرّتْ فترةٌ وهو منكبٌّ على عملهِ وأحيانًا لا يميّزُ بين الليلِ والنّهار. أحسَّ أنّهُ يخضعُ وما ينتجهُ لمراقبةٍ شديدةٍ، رغمَ أنَّ الخبثَ لا يجدُ في جسمهِ خليةً ليعشّشَ فيها، وأحياناً كان يُمنعُ من التقاءِ الآخرين حتى داخلِ المؤسسةِ، إلاّ بإذنٍ من المسؤولينَ بعد استضافتِهم في غرفةٍ خاصَّة.

شعرَ بالضّيقِ الشّديدِ للضّغطِ الممارسِ عليهِ جسديًّا ونفسيًّا، فجلسَ والتعبُ والقلقُ يخنقانِ جسمَهُ وفكرَهُ في إحدى المقصوراتِ المعدّةِ للتّحـــــــرّرِ مـــــــن أعبـــــــاءِ العمـــــــل ...

ربَّتتْ على كتِفهِ يدٌ حانيةٌ فتململَ واخترقَ سمعَهُ صوتٌ رقيقٌ يسألُهُ: ما الأمر؟

أفاقَ وذهلَ لأنَّهُ وجدَ نفسَهُ في المكانِ الذي وصلَهُ أثناءَ رحلتهِ في سُرادقاتِ ومتنزّهاتِ ماضيه ...

صحا من أفيونِ مشوارهِ .. استردَّ حاضرَهُ .. طلبَ منها الجلوسَ.. أخرجَ أكوامَ الشّوقِ التي كوّمَها في أسطواناتِ قلبهِ، وفاجأها بعشقهِ لها معترفًا أنَّ طيفَها يلاحقُهُ ويمسكُ بتلابيبِ أفكارِهِ ومشاعرِهِ واستعرضَ ما يخنقهُ ، وأنّه لم يعدْ بالإمكانِ العيشُ بدونها، واقترحَ عليها الزّواجَ بعدَ تقديمِ استقالتِهِ من عملهِ الذي أصبحتْ أشواكُ أسلاكهِ تؤذيهِ، ولم يعدْ يتحمَّـــلُ الإرهـــاقَ وسلاســـلَ القيـــودِ التـــي تكبِّـــلُ حرّيتَـــهُ ! فكّري في الأمرِ مليّا ...

علا صوتُ قهقهاتِها السّاخرةِ مردفةً:

يمكنُ أن تتزوَّجَ مسؤولةً في المخابراتِ، لكنَّكَ لا ولنْ تستطيعَ مغادرةَ هذا المكانِ أيُّها العالمُ الفيزيائيُّ العاشق .!

تحت شجرة اللّوز

تناولتِ العجوزُ حفنةً من التّرابِ قبّلتها وأعادتها إلى مكانها، ثمّ ألقتْ بجسدها المنهكِ على جذعِ الشّجرةِ الشّامخةِ في أحدِ المرتفعاتِ النّائية، بعد أنْ سقتْهُ دموع عينيها وماء إبريق الفخّار العتيق...مدّت نظرها نحو الأفق البعيد، تنهّدت وراحت ترفلُ بفكرها في دروب ما مضى، فيما بعضُ الأفرادِ يراقبون عن بعدٍ ما مارستهُ من طقسٍ اعتادتهُ منذُ أربعين سنة.

كان يوماً جميلاً حينَ عادَ خالدٌ لزيارتنا من البلدةِ التي يعملُ بها مدرّسا، حيثُ سطَّرَ الفرحُ حروفَهُ على صفحةِ وجههِ، وداعبتْ نسماتُ السّرورِ خصلاتِ شعرهِ، وأضاءَ نورُ السّعادةِ بريقَ عينيهِ وهو يزفُّ لي بشرى حبِّهِ لإحدى المعلّمات . لقد خلبت لبَّهُ وقالَ فيها أشعاراً قرأها لي، فطلبتُ منه عدمَ قراءتها على مسامعِ أخواته اليافعات.

أسعدني أنّ ابني قد سوّرَ معصمَهُ بأساور كنز جمال الكلمة، إضافة لكنز الهيئةِ المميّزة.

سألتُهُ في إحدى السّهرات الشّتويّة، ونحن نتشاركُ التّدفئةَ باللّحاف الصّوفيّ:

متى سنفرحُ بكَ يا خالدُ؟ هيّا أخبرْ أباك ليدبّرَ لك الأمورَ .

ظهرتْ بعضُ الخطوطِ على جبينهِ وقال بلغةٍ فاترة:

عندما يحينُ الوقتُ المناسبُ.

لمَ التّأخير؟ فالبيتُ واسعٌ، وبإمكانكَ تجهيزُ إحدى غرفه.

تضاحك ووعدني بإخبارِ والدهِ عندما تهونُ أمورُه.

أعادها من بين سطورِ ذكرياتها صوتُ خشخشةٍ أجفلها، تفحصّتِ المكانَ فلم ترَ شيئا، نهضت بتثاقلٍ ومشت نحوَ بيتِها.

اقترب مَن لاذوا من قبلُ خلفَ سنديانةٍ منتظرين مغادرتها؛ ليمعنوا النّظرَ ويتفحّصوا تلك البقعةَ المزيّنةَ بالورود، والمظلّلةَ بشجرة اللوزِ المزهرة.

هي حجارةٌ صفّتْ ورفعتْ مترا عن الأرض، سقفُها ورودٌ متعدّدةُ الأنواعِ أثارتِ الرّهبةَ في نفوسِ أحدهم، فأمسكَ بحفنةٍ من التّرابِ وقالَ:

"لاشكّ أنّ هذا قبرُ وليّ، وإلّا لما اعتَنَت هذه العجوزُ به وقبّلت تربَه".

سرّوا بهذا الاكتشافِ وغادروا متّفقينَ على العودة.

بُعيدَ ذلك، يبدو أنّ خبرَ المقامِ قد انتشرَ بين النّاس بسرعةٍ فصاروا يتوافدونَ صوبَهُ زرافاتٍ ووحدانا...

دخلت العجوزُ بيتَها جاهدةً بتسريعِ خطاها صوبَ صندوقِ الملابسِ الخشبيّ المزركشِ بالأصدافِ والنّحاس، والمحتفظة به في غرفةٍ محايدةٍ، فتحتهُ وأخرجت قميصا أبيضَ اللّون، تأمّلتهُ وشمّتهُ وهي تحتضنه. كيفَ لا وصاحبهُ الأستاذُ الناجحُ، ذو

الوجهِ الجميلِ والعينين السّاحرتين، وشعرُهُ الأسودُ النّاعمُ قد جعلوا الصّبايا يكسرْنَ حواجزَ الخجلِ، وينظُرْنَ إليهِ مليّا أثناءَ مصادفتهِ في الطّريقِ الترّابيّ الضّيّقِ عندَ ذهابهِ لعملِهِ. هو القميصُ الغالي الثّمن الذي اشتراهُ من راتبهِ الأوّل وأثناء ارتدائهِ روى لها قصصَ الإعجابِ به... فتعجّبت لجرأةِ الصّبايا، وشتمتهنّ أمامَهُ، لكنّها أخفت خلفَ الشّتائمِ فرحا؛ تباهيا بجمالِ ابنها الملفتِ للأنظار، ودعت الله أنْ يحميَه من أعينهنّ الحاسدة...تبسّمت ثمّ طوتهُ وأعادتهُ إلى الصّندوقِ بعد رشّهِ بنقطةٍ من عطرِ المسك.

أفاقت ذاتَ صباحٍ على صوتٍ غريبٍ، شوّشَ صفاءَ ذهنها ولحظاتها التّعبديّة، فخرجت تبغي مسابقةَ الرّيحِ في خطواتها صوبَ شجرةِ اللّوز، ناسيةً ما أرهقها من أوجاعِ المفاصل ليلا... انتهرت مجموعةً من الرّجال يحملون الكتبَ ويتمتمون بكلماتٍ لا تفهمها، فلم يعرها أحدٌ اهتماما... صرخت بهم:

مـاذا تفعلـون هنـا؟ اخرجـوا مـن أرضـنا حـالاً وإلّا رشـقتكم بهـذه الحجـارة... أنهـوا قـراءةَ تـراتيلهم، اقـتربَ أحـدُهم وسـألها بـبرودِ أعصاب: "إيش في يا أجوز؟"

نحن نصلّي مثلك، وأنت تضايقيننا.

تصلّون؟! ولمَ تصلّون هنا أمام بيتي؟

هذا قبرُ أحدِ حكمائنا، وجئنا لزيارته.

فصاحت: ويلاه! هذا قبرُ مَن؟! الويل لكم هذا قبري أنا.

تضـاحك مستهزئا.. مـا هـذه الخرافـاتُ؟ هـا أنـت حيّـةٌ وتسـبّين لنـا المشـاكل. نحـن أصـحابُ هـذا المكـانِ وسـنثبتُ ملكيّتـه ... بالمناسـبةِ إذا جئـتِ لتنـذري نـذرًا فسـوفَ نسـمحُ لـك هـذه المـرّةَ بتعليقِ ما تريدين على أغصانِ الشّجرة.

أخرسـها الـذّهولُ لحظـةً، وصـعقها رعـدُ مـا سـمعت مـن كـلام، وأحرقهـا ومـيضُ مـا أشـتعلَ مـن انفعـال، فلـم تـرَ سـوى وجـوه

تتمايل، وهاماتٍ تطولُ وتقصر... وصرخت تنادي باسمِ خالدٍ...

باتت ليلتَها ترتجفُ غيظا، وشفتاها رطبتانِ باسم خالدٍ، ولم يفارقها طيفُهُ أثناءَ نوباتِ سخونتها، ولا وقاحةُ من تطاولوا عليها...

لبست الطّبيعةُ أبهى الحللِ في ربيعٍ كثرت فيهِ أزهارُ شقائق النّعمان، وطغت الحمرةُ على الألوانِ كلّها، واستعدّت الأمُّ لاستقبالِ خالدٍ بعد شهرٍ من الغيابِ لا تدري له سببا.

ومع روعةِ الجمالِ، نعب غرابٌ فوقَ مدخنةِ البيت فأفسدَه. سمعت الصّوتَ فانقبضَ قلبُها واصفرّت سحنتُها. طلبت من أحدِ أبنائها أن يخرجَ لطردِه. تضاحكَ الصبيُّ ثمّ لبّى لها الطّلب.

أعدّت الأرزَّ المصبوغَ بالزّعفران، وغلتِ اللّبنَ الرّائبَ جيّداً ؛لأنّ خالدًا يحبّهُ هكذا...

مـرّ وقـتُ الظّهـيرةِ ولم يصـلْ، وكلّـما سـمعت صـوتَ هـديرِ سـيّارةٍ هرعـتْ نحـوَ البـابِ، وإن لم يكـنْ هـوَ ضربـتْ بكـفِّ اليـأسِ والقلـقِ دفّـةَ البـابِ وراحـت تبتهـلُ إلى اللهِ أنْ يجعـلَ تـأخّرَهُ لخـيرٍ، حيـثُ أخبرَهم جارُهم بعدَ مهاتفتهِ أنّ عودتَهُ ستكون ظهرًا.

مالـتِ الشّـمسُ للغـروب، وبـدأتِ الشّـقائقُ بـإغماضِ عينيهـا، وإذ بسـيّارةِ شرطـةٍ يترجّـلُ منهـا أحـدُ أفرادِهـا سـائلاً عـن الأب. اعتقلهـا الوجـومُ هنيهـةً ثـمّ تحـرّرت وراحـت تهـرولُ في البيـت؛ لاطمـةً خـدّيها تـارةً، وضـاربةً رجليهـا أخـرى، منتظـرةً خـروجَ الشّـرطيّ لمعرفةِ بغيتَهُ.

هـل أنـت والـدُ المـدعو خالـد؟ لقـد وُجـدَ في مـدخلِ القريـةِ مضرّ-جاً بدمائـهِ، فنقـلَ إلى المستشـفى وقبـلَ أن يصـلَ تـوفّي. وقّـعْ لي عـلى ورقةِ الإبلاغ.

تعالـتِ الصّـيحاتُ، واهتـزّت جـدرانُ البيـتِ مـردّدةً صـدى نـداءاتِ أمٍّ خالـدٍ فأتاهـا محمـولاً عـلى الأكتـاف. زغـردت وأقسـمت عـلى

النّسوةِ أنْ يغنّين للعريسِ العاشقِ الذي حذّرتهُ من عواقبِ حبّهِ لفتاةٍ من ديانةٍ أخرى. وها قد حصلَ ما خافت منه.

آه! إنّهُ سبت ربيعيّ كيوم دفنِ خالد...اليوم سأزرعُ له سنديانةً لأنّي أخشى أن ينخرَ السّوسُ جذعَ شجرة اللّوز – وإنْ عمّرت – مثلما زعمَ (أبو قاسم) في حديثه عن اللّوزيّات.. فجأةً وأثناءَ محاولتها جاهدةً نبشَ التّربة الرّطبة جانبَ القبر، عاد الأغرابُ مؤزّرين بمجموعة أخرى، استجمعت قواها وتحوّلت حرارةُ الحمّى إلى طاقةٍ هجوميّةٍ صارخةً بهم:

ابتعدوا عن قبر ابني وعن الشّجرةِ التي رويتُها بدموع عينَي مذْ غرستُها وسمّيتها باسمه... ابتعدوا وإلّا ... وقبلَ أن تكملَ جملتَها وقعت جانبَ القبر دونَ حراك، وتسمّرت عيناها بأعالي أغصانِ شجرةِ اللّوز الباسقةِ.

كاملة بدارنة

من مواليد عرّابة البطّوف في الجليل.

تعمل مدرّسة لغة عربيّة.

حاصلة على اللقب الأوّل في الأدب العام والتّربية من الجامعة المفتوحة، وشهادة معلّم مؤهّل في اللغة العربية من دار المعلّمين العرب في حيفا.

وشهادة للعلاج بالطّاقة من مركز (أوريال)

عضو في ملتقى رابطة الواحة الثّقافيّة.

تكتب القصّة القصيرة، والقصيرة جدّا، إضافة للنّثريات، والدّراسات التّراثيّة.

الإصدارات:

1 :طار الطّير – دراستان في الحكايات الشّعبيّة

2: زخّات المطر – قصص

3: ذات خريف – قصص

4: سباحة بين الحروف – نثريّات

5: المرأة الفلسطينيّة وأغنية العرس الشّعبيّة – دراستان في الأغنية الشّعبيّة النّسائيّة.

أنسام وعواصف – كتاب مشترك مع الشّاعرة ربيحة الرّفاعي.

قراءات نقديّة نشرت في موقع الواحة الثّقافيّة.

آمال المصري

صفحة من أرشيف بائسة

وَقَفْتُ أُعِدُّ الْطَعَامَ ، وأَهِمُّ بِتَرْتِيبِ الْمَنْزِلِ ، وإذَا بِصَوْتِ رَضِيعٍ خَلَعَ قَلْبِي وَرَاءَهُ حَنِيناً ، أَصَخْتُ إلَيْهِ ، فَإِذَا بِهِ مِنْ حُجْرَةِ الْنَوْمِ ، أَسْرَعْتُ بِتَنْفِيضِ يَدَيَّ مِمَّا تَعَلَّقَ بِهِمَا مِنْ مَاءٍ .. يَجْذِبُنِي الْصَوتُ نَحْوَ الْحُجْرَةِ هُرْوَلاً .. رُبَّمَا وَاهِمَةً !

عَاوَدْتُ الْعَمَلَ لِبَعْضِ الْوَقْتِ .. عَادَ الْصَوْتُ مَرَّةً أُخْرَى.

يَاإِلَهِي ، كَمْ تَعْلَمُ أَنَّ كُلَ مَا بِي يُصَارِعُ أَنْفَاسَ الاشْتِيَاقِ لِرُؤْيَةِ وَلِيدٍ أَضُمُّهُ ، أَشْعُرُ بِأَصَابِعِهِ الْبَرِيئَةِ تُدَاعِبُنِي ، وَتَتَلَمَّسُ مَلامِحَ مُحَيَّايَ... أُتَمْتِمُ بِتِلْكَ الْكَلِمَاتِ مُتَّجِهَةً صَوْبَ الْحُجْرَةِ ... صَوْتُ الْطِفْلِ يُنَادِينِي طَرَباً بِبُكَاءٍ وَجِفَتْ لَهُ الْرُوحُ هُيَامَاً ...

تَمَاسَكْتُ خَوْفَاً مِنَ الانْهِيَارِ ، وَأَنْ تَتَّهِمَنِي وَالِدَةُ زَوْجِي الْمُقِيمَةُ بِالْطَابِقِ الأَسْفَلِ بِالأَلَسِ

بِـالأمْسِ البَعِيـدِ عِنْـدَمَا زَارَتْنِـي لِتَهْنِئَنِـي بِالْزِفَـافِ ، وَبَـدَأَتْ تُلْقِـي عَـلَيَّ بِأَسْـــــئِلَةٍ وَهِـــــيَ تَرْمِينِـــــي بِطَوَارِفِهَـــــا!...

كَمْ ثَمَنُ فُسْتَانِ الْزِفَافِ ؟؟ وَكَمْ كَانَـتْ تَكَـالِيفُ مَرَاسِـمِ الْعُـرْسِ ؟ مَـنْ تَوَلَّى نَفَقَةَ مَأْدُبَةِ الْعَشَاءِ ؟ و ... ... ؟ و ... ... ؟

-زَوْجِي ، لِمَاذَا تَسْأَلُ وَالِدَتُكَ عَنْ ...؟ أَلَمْ تَقُلْ لَهَـا ... ... ؟ وَلَمْ أَلْتَفِـتْ إِلَى أَنَّـهُ عِنْـدَمَا كَـانَ يَرْغَـبُ فِي زِيَارَتِهَـا ، دَائِـماً مَـايَقُومُ بِاخْتِيَـارِ الْمَلابِـسِ الْوَاهِيَـــــــةِ الْرَثَّـــــــةِ لارْتِـــــــدَائِهَا!...

تَـذَكَّرْتُ الْصِّـدَامَ الَّـذِي تَكَـرَّرَ مِـرَارًا أَيَّـامَ الْخِطْبَـةِ ، وَأَنَـا أُرَافِـقُ وَالِـدَتِي لِتَجْهِيزِ شَقَّةِ الْزَوْجِيَةِ ، والَّذِي نَزَلَ عَلَيَّ كَالقَارِعَةِ ، عِنْدَمَا تَطَاوَلَتْ عَلَيْنَا بِمَا قَرَعَ آذَانَنَا من سَبٍّ وطَعْنٍ بِكَلامٍ مَااسْتَكَّ فِي مَسَامِعِي مِثْلُهُ .. وَقْتَهَـا تَعَهَّدَ زَوْجِي لَنَا بِأَنَّهَا حَالَةٌ عَارِضَةٌ وَسَتَزُولُ حَتْمًا ، دُونَ تَقْدِيمِ مُبَرِّرَاتٍ لِذَلِكَ .

أَفَقْتُ فَزِعَةً عَـلَى وَابِـلٍ مِـنَ الْسَـبِّ الَّـذِي رَافَقَنِي مُنْـذُ اللَيْلَـةِ الأُولَى!.. مَـاذَا أَفْعَـلُ وَزَوْجِـي فِي الْعَمَـلِ ؟؟ .. أَخْشَـى أَنْ أَجِـدَهَا تَطْـرُقُ بَـابِي ،

وَتَتَطَاوَلُ عَلَيَّ بِالْضَرْبِ ، مَازَالَتْ تَلْسبُ ، فَتَحْتُ جِهَازَ " الْسِي- دِي " ؛ لِيَطْغَى صَوْتُهُ عَلَى مَالا أُرِيدُ سَمَاعَهُ ؛ فَازْدَادَ صَوْتُهَا اتِّقَادًا وتَلَذُّعَا .. زِدْتُ أَيْضاً ؛ فَهَبِطَتْ لأسْفَلِ الْدَرْجِ حَيْثُ مَصْدَر الْكَهْرَبَاءِ ، وفَصَلتْها عني.

مَاذَا أَقُولُ لِزَوْجِي وَقَدْ شَكَوْتُ لَهُ ؟ .. لكن كَلامِي لايَنْهَضُ فيه بُرْهَانٌ ، كَانَ يتَّهِمُنِي بَاطِلاً بِالْنَيْلِ مِنْ وَالِدَتِهِ حَسَب ادِّعَاءَاتِهَا ؛ فَجَعَلَتْ بَيْنِي وبَيْنَهُ صَدْعَاً ، حَتَّى تَشَعَّثَتْ أُلْفَتُنَا.

إنَّهَا لاتَكِلُّ ولا تَمِلُّ ، أعْتَقِدُهَا تَتَغَنَّى بِهِ وهِيَ تَقُومُ بالأعْمَالِ الْمَنْزِلِيَّةِ ، وَمَتَى اقْتَرَبَ مَوْعِدُ زَوْجِي ؛ تَكُفُّ ، وَتَبْدَأُ فِي مُدَاعَبَةِ حَفِيدَتِهَا ، ومَتَى وَقَعَ نَظَرُهَا عَلَيَّ أمَامَهُ ؛ لاأسْمَعُ مِنْهَا سِوَى لَدِنَ الْكَلامِ... يا إلهي ... أَهِي تُرْمُلَةٌ ؟ أمْ أَيِم تَتَغَضَّفُ ؟!

سَأُصَابُ بِالانْهِيَارِ مِمَّا يَتَوَارَدُ عَلَى أُذُنَيّ مِنْ بَذِيءِ الْكَلامِ الَّذِي مَاتَعَوَّدْتُ سَمَاعَهُ مِنْ قَبْلُ..

لايُوجَدُ مَعِي إلَّا الْهَاتِفُ المَحْمُولُ .. نَعَمْ سَأَقُومُ بِتَسْجِيلِ ماتَقُولُه لِتَكُون مَعِي حُجَّةٌ بَتْرَاءُ دَامِغَةٌ ؛ فَقَدْ أَدْهَقَ الْكَأْسُ إلَى أَصْمَارِهِ شَغَّلْتُ المُسَجِّلَ وتَرَكْتُهُ يَلْتَقِطُ الْدُرّرَ .. أَسْمَعْتُهُ مَاتَغَنَّتْ بِهِ الأمُّ وأَنَا أَرْتَدِي مَلابِسِي كَيْ أَذْهَبَ لِبَيتِ أَهْلِي.. كَانَ يُمَزِّقُ وَجْهَهُ الْخَجَلُ مِنِّي تِلْكَ الْمَرَّة ؛ لانْكِشَاف قِنَاعِ الْشَكِ عَن محيّا الْيَقِينِ ! .. حَاوَلَ أنْ يُقَوِّضَ دَعَائِمَ بُرْهَانِي ويحَذْفَ مَاقُمْتُ بِتَسْجِيلِه ، ولَكِنِّي صَمَّمْتُ أنْ أُسْمِعَهُ لِوَالِدِي.

عَادَ لِوَالِدَتِهِ يَرْمِيهَا بَأَقْحَافِ رَأْسِهَا .. ويُخَبِّرَهَا بِمَا كَانَ مِنِّي ؛ لِتَنْهَارَ أَمَامَهُ صَاغِرَةً قَمِيئَةً : (لَقَدْ ظَلَمْتَنِي يَا وَلَدِي)

وَبَعْدَ عِدَّةِ أَيَّامٍ قَضَيْتُهَا عِنْدَ عَائِلَتِي طَلَبَ زَوْجِي الْعَوْدَةَ لِمَنْزِلِ الْزَوْجِيَّةِ وَتَعَهَّدَ لِي تِلْكَ الْمَرَّةَ أَنَّ الْوَالِدَةَ قَدْ شَعُرَتْ بِالْنَّدَمِ بَلْ واعْتَذَرَتْ عَمَّا بَدَا مِنْهَا...

عُدْتُ!...

لأجِدَنِي جَالِسَةً أَمَامِي .. بِنَفْسِ مَلْبَسِي .. مُنْدَهِشَةً مِنِّي .. لا ... إنَّنِي أَتَكَرَّرُ فِي الْرُدْهَةِ!..

زَنَرْنَ أَعْيُنَهُنَّ إِلَيَّ بِدَهْشَةٍ ثُمَّ إِلَى أَنْفُسِهِنَ كَمَا لَوْ تَقُولُ الْنَظَرَاتُ :

مَاأَتَى بِكِ إِلَى هُنَا ؟

تَقَهْقَرْتُ لَلْوَرَاءِ حَيْثُ أَتَيْتُ وَكَمْ كُنْتُ أَتَمَنّى سُؤَالَهُنَّ : مَاذَا تُرِدْنَ مِنِّي ؟

ومَا الَّذِي أَتَى بِكُنَّ هُنَا ؟

اسْتَنْكَرَ زَوْجِي مَا قَصَصْتُهُ عَلَيْهِ ، وأَثْنَاءَ الجِدَالِ .. صَمَتَ بُرْهَةً سَاهِفَ الْوَجْهِ ، تَتَّبِعُ عَيْنَاهُ شَيْئاً مَا فِي الْحُجْرَةِ ، ثُمَّ ، تَشْخُصَانِ عِنْدَ طَرْقَةٍ عَلَى أَحَدِ الْجُدْرَانِ بِصَوْتٍ مُرِيبٍ .

*لاشَيْء مِمَّا تَرْوِيهِ صَحِيح .. مَاذَا تَقْصُدِينَ ؟ هَلْ تَتَطَاوَلِينَ بِالْقَوْلِ إِنَّ وَالِدَتِي الْفَاعِلَة ؟ لا ... لاأَسْمَحُ بِذَلِكَ...

-أُرِيدُ الْذِهَابَ لِبَيْتِ والِدِي .. لَمْ أَسْتَطِع الْتَحَمُّلَ..

*نَقَضِي الْلَيْلَةَ هُنَا فَلا يَصِحُّ الْعَوْدَة إِلَيْهُمُ فِي نَفْسِ الْيَوْمِ.

اكْتَلأَتْ عَيْنِي أَقْرَأُ مَا تَيَسَّرَ مِنْ كِتَابِ الله مُتَرَقِّبَةً عَقَارِبَ الْسَاعَةِ بَيْنَ الْفَيْنَةِ والأُخْرَى أَتَحَدَّى كَرَىً تَمْضَمَضَ فَي عَيْنِيَّ ؛ لأَرَى زَوْجِي مُتَّجِهَا مِنْ حُجْرَةِ الْنَوْمِ صَوْبَ دَوْرَةِ الْمِيَاهِ ولَمْ يَعُدْ

ثُمَّ مِنْ الْحُجْرَةِ مُتَّجِهَا لِحُجْرَة الْـ...

وَجَدْتُهُ يَخْرُجُ! ... ...

نَادَيْتَهُ مُتَحَرِّكَةً نَحْوَ آخِرِ حُجْرَةٍ اتَّجَهَ إِلَيْهَا ، لأَجِده يُبَادِلُنِي الْحَدِيثَ مِنْ فِرَاشِهِ ، الَّتِي لَمْ يُغَادِرها مُنْذُ اللُّجُوءِ إِلَيْهَا!

-آاااهٍ ، لَقَدْ انْبَلَجَ نُورُ الْصَبَاحِ .. أخْرِجْنِي مِنْ هُنَا عَلَى الْفَوْرِ.

الْسَاعَةُ تَدُقُّ الْسَادِسَةَ صَبَاحاً...

هَبَطْتُ دَرَجَاتَ الْسُلَّمِ وَجِفَةً وَجِلَةً ، لأَجِدَهَا عَلَى عَتَبَةِ دَارِهَا تَتَشَدَّقُ بِالْعِلَكَةِ ، نَظَرْتُ إِلَيهَا .. نَظَرْتُ إِلَيْهِ!

تَذَكَّرْتُ بُكَاءَهُ لِي بِانْهِيارٍ عِنْدَمَا انْدَاحَتْ لِي الْدُّنْيَا بِقَوْلِهِ : (عِدِينِي أَلَّا تَتْرُكِينِي مَهْمَا حَدَثَ ، وأنْ تَعِيشِي مَعِي عَلَى الْحُلْوَةِ والْمُرَّةِ)

أَسْرَعْتُ بِالْهُبُوطِ .. لاصْطَدِمَ بِامْرَأةٍ مَهِيبَةِ الطَّلْعَةِ .. تَقْذَى بِهَا الْنَوَاظِرُ .. وتَلْفُظُهَا الآمَاقُ ، تَمْسِكُ بِبَابِ الْدَارِ الأَسْفَل

وتَقُولُ ... (عِنْدِي مَوْعِدٌ مَعَ الْحَاجَّةِ).

بسمة على بوابة الكذب

نَزَلْتُ فِي تِلْكَ الْمَقْهَى ؛ أحْتَسِي نَوْعَاً مِنْ الْرِضَابِ..

هُنَاكَ قَرَأْتُ وُجُوهَ الْنَاسِ أَتَفَرَّسُها:

مِنْهَا عَابِسَةٌ...

وأخرى تُرَتِّلُهَا بَسْمَةٌ ، يَخْطُو نُورُهَا ، يَشُقُّ الْعَتْمَةَ ، تَصُبُّ دَاخلهَا عَزْمَاً وأَمَلاً

-يَاعَبْهَرِيَةَ الْنَسِيمِ ..! انْتَظَرْتُكِ كَثِيراً ... كَلِمَاتُكِ : شَذَاً تعْبِقُ بِهِ الأَرْجَاءُ .. زهورٌ تَيْنَعُ بِدَاخِلِي!..

لَكِ هَذَا : كَأْسُ ودٍ مُعَتَّقٌ نَتَقَاسَمهُ مَعَاً ، أَوَدُّ الْتَوَاصُلَ غَالِيَتِي .. وَقَفْتُ مَشْدُوهَاً مُذْ رَأَيْتُكِ .. ثَكْلَى كَلِمَاتِي ، ومُنْهكَةٌ حُرُوفِي ... هَلْ لِي أَنْ أَرَى محْيَاكِ ؟!

سَبَقَتْنِي قَدَمَايَ بِالْخُرُوجِ ، أَتَقَيَّأ اشْمِئْزَازَةَ مَقْتٍ.

تَتَعَثَّرُ خُطَايَ ...

عَلِيلٌ ... ! مُؤَكَّدٌ أَنَّهُ يَتَأَلَّمُ، بَلْ يُرِيدُ الْمُسَاعَدَة...

-ياذاتَ الصوتِ الآسر.. قَدْ أَصَابَنِي الْوَصَبُ ، وتَجَبْخَبَ الْبَدَنُ حَتَّى لَصبَ جَلْدُهُ ، اسْتَعَزَّ بِيَ الْعَيَاء وأَضْنَانِي الْهَيْضُ ، وقَدْ أَعْضَلَ الْدَاء الأَطِبَّاء ، وعِلَّتِي لا يَنْجعُ فِيهَا الْدَّوَاءُ.

آآآهَاتٍ .. أَنْ لا تَتْرُكِينِي يَاسَلِيلَةَ الْكَرَمِ ، فَمَا أَحْوَجَنِي لِوُجُودكِ ... كُونِي بالْجِوَارِ!...

يَالَهُ مِنْ نَائِحٍ مَلُولٍ ..

نَظَرْتُ فِي أَعْيُنِ كَلِمَاتِه ، قَرَأْتُها انْتِدَاحاً ، فَوَهَصْتُ بِهَا .

هُـــنَا ..! وَدَدْتُ صِلَةً مُوثِقَةَ الْعرَى ، لِيَكُنْ بَيْنِي وبَيْنَهُ حَبْلٌ مُحْصَفٌ ...

-أُخْتَاهُ ..

رَدِيئَةٌ تِلْكَ البَضَائِع وأَنَا لَكِ نَاصِحٌ أَمِينٌ...

لاتَجْذِبُكِ أَلْوَانُهَا فَتضِلِّي ... ولا تُبْهِرُكِ أَضْوَاؤُهَا فَتكُونِي مِنَ الْنَادِمِين.

إني أَتَوَسَّمُ فِيكِ مَخَايِل الْكَرَمِ ، وأَرَاكِ مُطْهَمَةُ الْخُلُقِ ... مَاءُ الْجَمَالِ يَتَرَقْرَقُ فِي حَرْفِكِ وَقَدْ فَغَا عَبِيرُه طُهْرَاً ، وتَضَمَّخَ بِالْنَقَاءِ.

أصَخْتُ لَهُ ، وتَلَمَّظْتُ كَلِمَاتِهِ . كَمْ هُوَ جَم الإِفْضَالِ ... فَيَّاض الْلهَى.

ظَنَنْتُهُ هَكَذَا ..! دَنَوْت أرْتَجِيهِ احْتِوَاء...

أذْهَلَنِي مَا ارَتَأَيْتهُ..! إنه يَسْتَنْزِلُ عَنْ حُلْمِهِ ، ويَزْدَهِفُ عَنْ وَقَارِهِ ، وقَدْ حَلَّ حُبْوَتَهُ الْطَيْشُ .

أمممممم....

مَاأَطْيَبَ رَائِحَةَ الْزُهُورِ الْزَكِيَّةِ!....

مَا أرْوَعَهَا! .... نَدِّيٌ صَبَاحُهَا بَائِعَةُ الْوَرْدِ ، عِنْدَمَا يَزُّخُ قَطَرَاتَهُ عَلَى الْرَوْحِ يُرْوِيهِ بَلْسَماً..

جَذَبَتْنِي رِقَّتُهَا وآثَرَنِي عَطَاؤُهَا..

-أَنْ خُذِي هَذِه يَاحَبِيبَة : فِي صَبَاحِي أَنْتِ أُنْشُودَةٌ..

حقاً مَا أَجْمَلَ الْبَيْلَسَانَ وسَنَابِلَ الْقَمْحِ وزُهُورَ الْلَوْزِ.

اِقْتَرَبْتُ ... أَكْثَرَ لأقْطِفَ مِنْ بُسْتَانِهَا ، وإذَا بِي أُطْبِقُ يَدِي عَلَى أَشْوَاكٍ دَامِيَةٍ...

آاااهٍ ... كَمْ آلَمْتِني حَتَّى تَنَفَّسْتُ الْدُمُوعَ حَسْرَةً !..

انْحَنَى عُودُ الْقَمْحِ هَاتِنَاً .. يُقَبِّلُ قَاعَ مَاقَدْ وَطَأَتْهُ قَدَمَايَ ... وَهَبَّتْ دَمْعَةٌ

أَوْدَعَتْ جَفْنِي نِيرَانَ الْسَّهْدِ وهَيَاجَ الْوَجَعِ ،

اسْتَنْشَقْتُ كِبْرِيَائِي ، وتَطَهَّرْتُ بِعِزَّتِي ...

أَمْتَطِي صَحْوَةَ الْضَوْءِ.

هَمَمْتُ بِالْخُرُوجِ مُسْرِعَةً عَاقِدَةً الْعَزْمَ عَدَمَ الْعَوْدَةِ ؛ فَعِطْرُهَا كَاَذِبٌ ..

خَادِع.

وَهُنا اخْتَلَطتْ بِدَوَاخِلِي ثَوَرَاتٌ كَادَت تَتَفَجَّرُ بُرْكَانَاً.....

كَثِيرَاً مَاتَلَقَّفَتْنَي الْخَوَاطِرُ الْوَاهِنَةُ ... تَتَمَعَّنُ الْعُزْلَةَ والْحَيَاةَ الْمُعْطِبَةَ...

إنْطِوَاءٌ .. يُقَهْقِهُ عَابِثَاً بِتَأَمُّلاتِ صَمْتِي !..

وثِقَةٌ .. يَتُوقُ لَهَا الْفَقْدُ لِتَتَرَبَّعَ عَلَى عَرْشِ الانْزِوَاءِ

حِينَ احْتَضَنَ خَاطِرِي مَخَاضُ الْفِكْرةِ : أَنْ الْفُظِي تِلْكَ الْوِحْدَةَ الْمُوحِشَة.

رِحْلةٌ مُفْلِسَةٌ إلَى مُلْتَقَى الأَوْهَام...

وَقَفْتُ عَلَى حَافَةِ قَرَارٍ بِالْعَوْدَةِ صَفِرَاً .. وكَفَانِي تَقَعْقُعَاً مَابَيْنَ نَصْبٍ

لِلْحَبَائِلِ ... وَبَثٍ لِلْغَوَائِلِ.

آثَرْتُ الْصَمْتَ ...

وآثَرْتُ الْوِحْدَةَ ...

فَقَطْ حَاوَلْتُ لَمْلَمَةَ شِتَاتِ فِكْرِي الْمَنْثُور.

نَظَرْتُ عَلَى مَرْأَى الْبَصَرِ...

اقْتَرَبْتُ .. شَعُرْتُ بِجِيُوشِ الْخَوْفِ بَاتَتْ مَهْزُومَةً ... حَيْثُ تَهَاوَتْ قِلاعُ الْيَأْسِ ... قِنْدِيلٌ أَضَاءَ دَيْجُورَ الْلَّيْلِ يُعَانِقُ الْرَوْحَ

يَقِينٌ وَارِفٌ ... وصِدْقٌ صَهِيلُ حَرْفِه صَادِحٌ..

أَخَذْتُ أُحْدِقُ الْرُؤْيَةَ لِتِلْكَ الجَوْهَرَةِ الْسَنِيَّة ، الْسَاطِعِ نِبْرَاسها... دَنَوْتُ مِنْهَا ... دَنَوْتُ أَكْثَرَ ، لأَرَاهَا مَوْسُومَةً بِالْخَيْرِ !

وَضَعْتُهَا أَمَامَ عَيْنِيّ تَحْتَضِنُهَا الْمُقَل ...أَتَنَفَّسُهَا فِي امْتِنَانٍ.

أَغْلَقْتُ الْحَاسُوبَ والْبَسْمَةُ مِلْءَ الْقَلْب .. لَنْ تَنْتَهِي أَبَدَاً.

لاتطفئوا الأنوار

تَنْطَفِئُ الأَنْوَارُ فِي كُلِّ مَرَّةٍ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّ الْظلامَ رَفِيقِي ، وأَنَّ الْضَوْءَ يَسْرِي شُعَاعهُ فِي الاتِّجَاهِ المُعَاكِسِ حَيثُ لانلْتقِي أبدًا.

أَحْدَاثٌ تَتوالى تُدَغْدِغُ كُلِّي حَيثُ تَحطَمَ داخِلي الإنسانُ ، ولايتبقَّ في كلِّ مرَّةٍ إلَّا بقَايَا هشَّة ماإن تترسَّبَ في مساحاتِها فُتاتُ أملٍ حتَّى يُصِيبُها الانْكِسار . وأظَلُّ فِي رُمْقٍ تَسْتَعْبِدُنِي الهُمُوم.

-أمِّي : أَشْعُرُ بِبَعْضِ التَّعَب يَنْتَابُني وعَدَمِ المَقْدِرَةِ عَلَى اسْتِوْزَاءِ قَامَتِي ...

-لابُدَّ مِنْ مُرَاجَعَةِ الطَّبِيبِ الْمُخْتَصِ كَيْ نَطْمَئِنّ جَمِيعا ولنَرَى مَايُقَرِّره.

-قَرَأتُ مَلامِحَ ذُعْرٍ تُرَتِّلُهَا النَّظَرَاتُ بَعْدَمَا قَامَ بِفَحْصِ السَّاقَيْنِ ، وفِي صَمْتٍ الْتَقَطَ القَلَمَ بَيْنَ إصْبَعَيْنِ ونَقَشَ عَلَى وُرَيْقَةٍ رِسَالَةً باللاتِينِي ، وأمْسَكَ الهَاتِفَ ليُجْرِي مُكَالَمَةً لطَبِيبِ الأَشَعَّةِ حَيْثُ بَعْضا مِنَ الحُرُوفِ

هِيَ مَا اسْتَوْعَبْتُها. (Save the lives of sick)

-هَدِّئِي مِنْ رَوْعِكِ بُنَيَّتِي وكُونِي بِخَيْرٍ...

ومَاذَا ؟؟ ... مَا مَرَرْتُ بِهِ مِنْ قَبْلُ عَلَّمَنِي الصُّمُودَ.

هُنَاكَ ... قَرَأْتُ القَلَقَ مَعَ كُلِّ إنْذَارٍ بالخَطَرِ مِنْ هَذَا الجِهَازِ الَّذِي يُظْهِرُ سَرَيَانِ الدَّمِ فِي الأوْرِدَةِ ، وجَدْتُ الطَّبِيبَ يَلْتَقِطُ القَلَمَ ليَخُطَ عَلَى مَوَاقِعِ الألَمِ مِنَ الجِلْدِ بالزَّيْتِ الأسْوَدِ...

أَحَدَ عَشَرَ خَطاً فِي مَنَاطِقَ مُتَفَرِّقَةٍ مِنَ السَّاقَيْنِ..

-بِطَرِيقَةٍ لاتُثِير الشُّكُوك : أرْجُو أنْ لاتَمْحَ العَلامَات حَتَّى مُرَاجَعَة الطَّبِيبِ المُخْتَصِّ.

-مَاذَا بِي ؟؟

-حَالةٌ بَسِيطَةٌ .. مُجَرَّد جَلَطَاتٍ فِي الأوْرِدَةِ سَيَضْطَرُ الطَّبِيبُ لِعَمَلِ شِقٍّ بَسِيطٍ لاسْتِئْصَالِهَا مِنْ تَحْتِ الجِّلْدِ ، ومِثْلُهَا تَرِدُ عَلَيْنَا كَثِيرًا ... لاتَخَافِي ياصَغِيرَة!..

وفِي صَبَاحِ اليَوْمِ التَّالِي وكُلِّ ثِقَةٌ فِي الله تَعَالَى ، تَلُفُّنِي=يلُفُّني أفْرَادُ العَائِلَةِ بِنَظَرَاتِ خَوْفٍ مَمْزُوجَةٍ بالشَّفَقَةِ ... وكَثِيرٍ مِنْ تَسَاؤُلاتٍ لاأدْرِي مَاهِيَ ؟

تَوَضَّأْتُ وأقَمْتُ الصَّلاةَ حَتَّى بُزُوغ أولِ خَيْطِ ضَوْءٍ لتَصُمّ أذُنَاي عَنْ السَّمْع ، وتَسُوقُنِي قَدَمَايَ لاأدْرِي كَيْفَ هَبَطتُ دَرَجَاتِ السُّلَّمِ وكَيْفَ وَصَلْتُ إلَى هُنَاكَ حَيْثُ كُلّ شَيْءٍ فِي المَوْعِدِ المُحَدَّدِ ...

أبٌّ يَبْتَسِمُ ... أُمٌّ تَبْكِي ... فَزَعٌ يَرْتَسِمُ عَلَى بَاقِي الوُجُوهِ.. يَقْرَعُ الطَّبِيبُ بَابَ الحُجْرَةِ ويُبَادِرُ بِالدُّخُولِ.

-لِتَتَقَطَّعَ الكَلِمَاتُ فِي فَمِي، وتَرْتَجِف كُلُّ أجْزَائِي، ويَتَقَعْقَعُ لِجْيَانِي، ولَمْ تَعُدْ تَقْوَى قَدَمَايَ عَلَى السَّيْرِ لتَحْمِلنِي مَلائِكَةُ الرَّحْمَةِ إلَى المِصْعَدِ الكَهْرُبَائِي؛ ليُغْلَق بَابُهُ دُونَ أسْرَتِي ، وعَلَى أرِيكَةٍ فِي حُجْرَةٍ مَلِيئَةٍ بالمُعِدَّاتِ والأضْوَاءِ أجْلِسُ؛ لأرَاهُ قَد اسْتَدَارَ ليُذْهِبَ بِبَاقِي ضَوْءٍ الْتَقَطَتْهُ عَيْنَايَ، فَأفْقِدُ الوَعْيَ قَبْلَ أنْ يَقْتَرِبَ

لظَهْـرِي الَّـذِي أرَادَ رَشْـقَهُ بِمِحْقَـنِ المُخَـدِّرِ الَّـذِي كَـانَ يُعِـدُّهُ.

أَشْـلاءٌ ، قَـذَائِفٌ ، صَـوَارِيخٌ .. تَمُـرُّ مِـنْ جَانِبِنَـا فَنَـنْكَمِشُ ونَحْتَمِـي بِـهِ ، يَحْمِلُنَـا الشُّـمُوخُ ... وتُرَاقِصُـنَا الخَـيلاءُ لِفِدَائِيَّتِـهِ ، عِشْـنَا مَعَـهُ الأحْـدَاثَ لحْظَـةً بِلَحْظَـةٍ .. اسْتَنْشَـقْتُ شَـذَا بَـارُودِ المَعَـارِكِ ... وَتَعَطَّـرْتُ بِمِسْـكِ دُخَـانِ الـدَبَّابَاتِ والمَـدَافِعِ ، كَحَّلْـتُ عَيْنَـيَّ بِصِوَرِهِ الفِدَائِيَّةِ، وانْبَهَرَ عَقْلِي مِنْ هَوْلِ الحَكَايَا.

السَّرُـورُ يَلُـفُّ المَكَـانَ .. والتَبْرِيكـَاتُ تَشْـعِلُ الأضْـوَاءَ .. أَبْتَسِـمُ، ويَبْتَسِـمُ الجَّمِيـعُ .! تَرْفُـلُ أخْتِـي فِي ثَـوْبِ الزِّفَـافِ، وتَتَعَـالَى أصْـوَاتُ الغِنَاءِ ..

عَمِّـي .. أكُنْـتُ مَـعَ والِـدِي يَـوْمَ أنْ فَقَـدَ يَـدَهُ حِيـنَمَا أمْسَـكَ بالقَذِيفَـةِ ليلْقِي بِهَا عَلَى جُنُودِ العَدُوِّ ؟؟

تَبَسَّمَ .. أمَا زَالَ يَدَّعِي تِلْكَ الحَادثَة ؟؟

كَيْفَ ؟

وكَانَت الكَلِمَةُ الَّتِي عَلَى إثْرِهَا خَارَتْ قُوَّتِي، وهَوَى مَعَهَا كُلُّ شَيْءٍ : لَقَدْ فَقَدَهَا عِنْدَمَا حَاوَلَ الانْتِحَارَ مِنْ أَجْلِ ..... عَاهِرَةٍ ؟

لِيَصْمُت الجَمِيعُ ... وتَنْطَفِئُ أنْوَارُ العُرْسِ ، وتَنْتَهِي المَعْرَكَةُ .

إنَّهَا تَنْتَبِهُ ..! لابُدَّ مِنْ جرْعَةِ مُخَدِّرٍ كُلِّيٍّ أخْرَى ... مَازَالَ أمَامَهَا الكَثِير مِنَ الوَقْتِ ... كُلُّ اللحظَاتِ مَبْتُورَةٌ، هَذِهِ الدُّنْيَا.. لَيْتَهَا تَتَوَقَّفُ عِنْدَ هَذا الكَمِّ مِنَ الجِّرَاحِ، أتَلَهَّفُ للنُّورِ .. كَفَى الضَّوءُ الأسْوَدُ .! بَكَتْ الدُّمُوعُ، وتَأَلَّمَ النَّحِيبُ، . كَمْ مَسَحَ عَلَى رَأْسِي قَسْوَةَ الأيَّامِ ؟ يُقَاسِمُنِي الحُزْنَ .. بَلْ يَأْخُذُهُ عَنِّي، أنْبُتُ فَرَحاً بَيْنَ ذِرَاعَيْهِ، يَطْبَعُ قُبْلَةً عَلَى جَبِينِي ، أجْلِسُ بِجِوَارِهِ .. يَحْكِي وأحْكِي .. لايَمَلُّ، ولا أَمَلُّ.

مَضَى شَهْرَانِ كِدْتُ أنْسَى الصَّدْمَةَ الأُولَى ، ولَكْن ...! رُوَيْدَكِ أحْلامِي .. هَوناً .. لِمَ يَسْرِقُوكِ مِنِّي ؟ صَوْتُ الهَاتِفِ لَيْسَ كَكُلّ مَرَّةٍ .. وَجْهُ أمِّي عَابِسٌ ..

تَرُدُّ فِي ذعر، ثُمَّ تَجْهَشُ بِالبُكَاءِ

لَـــــنْ أتْرُكَـــــكِ تَـــــذْهَبِينَ وَحْـــــدَكِ ، أوَدُّ رُؤْيَتَـــــهُ..

نَجْرِي بِهَلَعٍ..

-لَـــــنْ تَـــــدْخُلِي مَعِـــــي ، إبْقَـــــي هُنَـــــا..

ابْتَعِدِي عَنِّي أوَدُّ النَّظْرَةَ الأخِيرَة-

اقْتَحَمْتُ المَكَانَ وهَوْلِ مارَأيْت ..! حَسْرَةٌ تَخْتَلِجُ فُؤَادِي، تَلْفَحُ وَجْهِي، أَهَذَا جَدِّي الَّذِي كُنَّا بالأمْسِ القَرِيبِ ؟؟ تُفْتَحُ ثَلَّاجَةُ المَوْتَى لأجِدَهُ بِلا حِرَاكٍ مُمَدَّدًا .. تَنْهَارُ قُوَّتِي، ولَمْ أقْدِر عَلَى جَمْعِ شِتَاتِي؛ فَقَدْ رَحَلَ مَنْ كَانَ يُحِبُّنِي ..

رَحَلَتْ رُوحٌ كُنْتُ مِنْهَا وهِيَ مِنِّي .. تَرَكَ حُبًّا فِي قَلْبِي وَحِيدَةً أنْثُرُ الحُرُوفَ بِلُبَاسِ الألَمِ ، وحَسْرَةً لاتَنْطَفِئ .. ذِكْرَى أعِيشُ بِهَا وأشْقَى .. أبْقَى أوْ لا أبْقَى.

تَتَـــوَالَى السَّـــاعَاتُ والأسْرَةُ جَمِيعُهَـــا تَنْتَظِـــرُ بالخَـــارِجِ..

تِلْكَ نَبْتَةُ أَمَلٍ تَنْبِضُ بالحَيَاةِ ، الكُلُّ يَنْتَظِرُ .. يَتَرَقَّبُ أنْ تَنْكَشِفَ سَتَائِرُ الغُمَّةِ وتُشْعِلَ أنْوَاراً جَدِيدَةً تَقْشَعُ ظُلْمَةَ الأَيَّامِ الكَئِيبَةِ، تَوَالَتْ مَخَاضَاتِ المَسَاءَاتِ . .. لَعَلَّ مَخَاضاً قَرِيبًا يَضَعُ بُذُورَ ضَوْءٍ مِنْ رَحِمِ الغَيَامَاتِ الدَّاكِنَةِ .. انْشِغَالاتٌ .. خَيَالاتٌ .. إسْتِبْشَارَاتٌ ....، تَسَاؤُلاتٌ وآمَالٌ تَتَرَاقَصُ فِي عُيُونٍ دَامِعَةٍ... مَتَى تَشْرُقُ البَسْمَةُ هُنَا ؟ مَتَى يَصِلُ القَادِمُ البَاكِي ... يَصْرُخُ ... يُوَزِّعُ الفَرْحَةَ عَلَيْنَا فِي هَمْهَمَاتِهِ الرَّقِيقَةِ .. فِي نَبَضَاتِهِ البِكْرِ.. أنَا مَنْ فَكَّرَ بِوَرْدَةٍ أسْتَقْبِلُهُ بِهَا لَكِنَّ والِدَتِي كَانَتْ تُعِدُّ لَهُ رِدَاءً بِزُهُورٍ وطُيُورٍ تَتَرَاقَصُ عَلَيْهِ أَلْوَانُ الشُّرُوقِ، والأُخْرَيَاتُ يُجَهِّزْنَ وِسَادَتَهُ .. لَكِنْ غَفَلَ الجَّمِيعُ أنْ يُعِدُّوا لَهُ طَعَامَاً، رُبَّمَا عَلِمُوا أَنَّهُ لنْ يَطِيبَ لَهُ طَعَامُنَا ... وعَلَى حِينِ عَهْدٍ .. عَلا صُرَاخٌ وتَأَوُّهَاتٌ ..وارْتَجَفَتْ قُلُوبٌ ... ذَرَفَتْ عُيُونٌ

الجَّمِيعُ يَتَرَقَّبُ البُشْرَي ! قَلْبِي يُحَدِّثُنِي أيّ بُشْرَى عَلَى أمْوَاجِ الدُّمُوعِ ... أُخِذَت أخْتِي إلَى الغُرْفَةِ المُضِيئَةِ.

إذاً .. سَتُشْعَلُ الأَنْوَارُ مِنْ جَدِيدٍ، مَلابِسٌ بَيْضَاءُ شَفَّافَةٌ ... بُشْرَى خَيْر إِنَّهُ الطَّبِيب..

كُلُّ انْتَهَى مِنْ مُهِمَّتِهِ ... لَفَّ المَكَانَ رُعْبُ الانْتِظَارِ ... رَهْبَةُ التَّرَقُّبِ تَرْسُمُ تَقَاسِيمَ الوُجُوهِ ، وتَحْتَارُ لِقَاءَاتُ العُيُونِ ... خَيِّمَ الصَّمْتُ كَعَادَتِهِ عَلَى المَوْقِفِ... فُتِحَتْ الغُرْفَةُ المُضِيئَةُ.. تَسَلَّلَ بَعْضُ النُّور إلَيْنَا، خَرَجَتْ والكُلُ يَلْتَفُ حَوْلَهَا ، إلَى أنْ اسْتَقَرَّتْ عَلَى المُتَّكَأ أمِّي .. نُرِيدُ رُؤْيَةَ الوَلِيدِ ... نَهْرَعُ إلَى هُنَاكَ، نُهَرْوِلُ خَلْفَ خُيُوطِ الضَوْءِ. ، أَنْظُرُ إلَيْهِ ... أُدَقِّقُ النَّظَرَ

يَالَهُ مِنْ جَمِيلٍ ! .. حَمَلْتُهُ .. ضَمَمْتُهُ إلى قَلْبِي ، وبِعُمْقٍ نَظَرْتُ إلَى وَجْهِهِ المَلائِكِيّ ، فَاضَتْ دَمْعَةٌ بَكَى حُلْمُهَا مِنْ عُيُونٍ تَتَبَّعَت سَرَابا وَاهِما وُشِّحَ بالسَّوَادِ تَسَاقَطَتْ عَلَى جَسَدِهِ العَفِن، وفَرَدَ الحُزْنُ أجْنِحَتَه يَجْبُو لِيَحْوِي مِسَاحَةً بِلَوْنِ الأسَى ...! لَقَدْ فَارَقَ الحَيَاةَ قَبْلَ أنْ يَرَى النُّورَ بأيَّامٍ ، وبِصَوْتٍ .. يَغْلِبُنِي البُكَاءُ ، ويَتَصَدَّعُ قَلْبِي بَيْنَ الضُّلُوعِ.

ويُتْمّمُ الطَّبِيبُ اللمَسَات الأخِيرَة مِنْ حِيَاكَةٍ دَقِيقَةٍ ... يُرَتِّقُ تِلْكَ ... ويُدَارِي ذَاكَ ... لأجِدَنِي بَعْدَ سَاعَاتٍ طُوالٍ فِي حُجْرَتِي طَرِيحَةَ الفِرَاشِ، أكَادُ يَبْلُغُ مِنِّي النَّسِيسُ ، لاأقْوَى عَلَى الحِرَاكِ وقَدْ ضُمِّدَتْ سَاقَاي بالخَبَائِبِ والسَّبَائِخِ الَّتِي نَبَه الطَّبِيبُ ألَّا تُغَادِرُنِي وأثْبَتَتْنِي سِتَّةَ أشْهُر كَامِلَة.

أفْتَحُ عَيْنِي لأرَى كُلَّ الأنْوَارِ انْطَفَأَتْ ... مَاعَدَا نُور لايَنْطَفِئ ... فَرَحْمَتُهُ وسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ،

وبَابهُ مَفْتُوحٌ أبَدًا.

آمال فوزي أحمد المصري

من جمهورية مصر العربية – من مواليد محافظة دمياط بجمهورية مصر العربية في 19 – 11 – 1960 م

متزوجة وأم لأربعة من الأبناء

حاصلة على دبلوم معلمات

لها مجموعة من القصص والخواطر والكتابات النثرية نشرت على الانترنت.

مازن لبابيدي

أبو عبدو

وَقَفَ لِلَحظَةٍ مَدْهوشاً وهُوَ يَنْظُرُ إلى ذَلكَ الرَّجُلِ الأَنِيقِ، المَيْسور عَلى مايبدو، يُلَوِّحُ لَهُ رافعاً رأسه ليراه ويُنادِيهِ مِنْ بَعِيدٍ فِي سُوقِ الخَضْراواتِ : أَبا عَبْدُو ... يَا أبا عَبْدُو ، نِداءاتٍ مُتتَاليةٍ بِصَوتٍ مُرتَفِعٍ يَجْهَدُ للتَّغَلُّبِ عَلى ضَجيجِ السُّوقِ .....، وسَرْعانَ ما استَبْدَلَ أبو عبدو الدَّهشَةَ بالبَهْجَةِ والانشِراحِ وأَسرَعَ إلى صاحِبِ الصَّوتِ مَعَ أَنَّه لَمْ يَتَمَكَّنْ مِنْ مَعْرِفَتِهِ عَنْ بُعْدٍ كانت هَذِهِ المَرَّةَ الأولَى مُنذُ سَنَواتٍ إِذْ يَسْمَعُ أَحداً يُنادِيهِ بِكُنْيَتِهِ الَّتي عُرِفَ بِها فِي بَلْدَتِهِ قَبْلَ أَنْ يُهاجِرَ .. أَحَسَّ كَأَنَّ السُّوقَ هَدأَ مِنْ حَوْلِهِ إِلاَّ مِنَ النِّداءِ المُحَبَّبِ الَّذِي عَزَفَ عَلَى أَوْتارِ قَلْبِهِ فَدَبَّ فِيهِ نَشَاطٌ عَجِيبٌ فَمَا عَادَ يَشْعُرُ بالحَرِّ اللَّاهِبِ والتَّعَبِ المُنْهِكِ ،... لا بُدَّ أَنَّ ذَلكَ الرَّجُلَ الأَنِيقَ هُو أَحَدُ سُكَّانِ بَلْدَتِهِ وَرُبَّما كان قَرِيباً لَهُ وَقَدْ عَرَفَهُ ولِذلكَ يُنادِيه .. ! ..عِنْدَمَا مَرَّتْ بِخَاطِرِهِ هَذِهِ الفِكْرَةُ اضْطَرَبَ وخَفَقَ قَلْبُهُ بسُرعَةٍ ، كَيفَ عَرفَهُ الرَّجُلُ وَهُوَ بِهذِهِ الهَيئةِ ؟ لَقَدْ تَغَيَّرَ فِي السَّنَواتِ المَاضِيَةِ ، سَمِنَ قَليلاً وصَبَغَتِ الشَّمسُ وَجْهَهُ وأَحْرَقَتْ ذِراعَيْهِ وَلَطَّخَ

الشَّيْبُ شَعْرَهُ الأَشْعَثَ . خَجِلَ مِنْ مَظْهَرِهِ وَهُوَ يُلْقِي نَظْرَةً سَرِيعَةً عَلى مَلابِسِهِ الرثَّةِ الَّتي رَسَمَ فِيها العَرَقُ خَرائِطَ مِلْحٍ ، وآثارِ الخَضْراواتِ والتُّرابِ التي عَلِقَتْ بِها ، وشِبْهِ الْحِذاءِ الذِي يَنْتَعِلُهُ وَيَجُرُّه عَلى الأَرْضِ .. لا شَكَّ أَنَّ رَائِحَتَهُ كَذَلِكَ تَفُوحُ بِمَزِيجٍ مِنَ الأَرْضِ وَثِمَارِهَا المَعْجُونَةِ بِمَا اعْتَصَرَهُ الْقَيْظُ مِنْ بَدَنِهِ ، ثُمَّ تَذَكَّرَ السَّلَّةَ الْمُتَدَلِّيَةَ مِنْ مَنْكِبِهِ والخِرْقَةَ المَعْقُودَةَ عَلى جَبْهَتِهِ ... وازْدادَ تَرَدُّدُهُ ... لِكِنَّ الرَّجُلَ لَمْ يُمْهِلْهُ وتَسارَعَتْ خُطَاهُ نَحْوَهُ وَهُوَ يُتابِعُ النِّداءَ ... أَبَا عَبدُو .. يا أبا عبدو .. أَمَّا أبو عبدو فَقَدْ اتَّخَذَ قَراراً جَرِيئاً مُغَلِّباً عِزَّةَ نَفْسِهِ عَلَى خَجَلِهْ ، فَالعَمَلُ شَرَفٌ والفَقْرُ لا يَعِيبُ صَاحِبَهُ وخَيْرٌ لَهُ أَنْ يُرَى حَمَّالاً فِي سُوقِ الخَضْراواتِ مِنْ أَنْ يُشَاهَدَ مُتَسَوِّلاً يَسْتَجْدي النَّاسَ عِنْدَ أَبْوابِ الْجَوامِعِ وَلْيَقُلْ أَهْلُ بَلْدَتِهِ مَا شاؤوا إِنْ وَصَلَهُمْ نَبَأُهُ.

اتَّجَهَ أبو عبدو نَحْوَ الرَّجُلِ الأَنيقِ راسِماً عَلى وَجْهِهِ ابْتِسامَةَ تَرْحِيبٍ وَهُو يُحَدِّثُ نَفْسَهُ : .. لَيْسَ مِنَ الذَّوْقِ أَنْ أُعانِقَهُ فَأُضَايِقَهُ بِرَائِحَتي وعَرَقِي وأُلَوِّثَ مَلابِسَهُ .. سَأَكْتَفي بالمُصافَحَةِ ...لا..! .. حَتَّى هذه لا حاجَةَ إِلَيْها فَيدايَ خَشِنَتان وليْسَتا نَظِيفَتَيْنِ ... سَيَشْعُرُ بِالتَقَزُّزِ ... وَلَكِنْ إِنْ لَمْ

أَصافِحْهُ سَيَعْتَبِرُ ذَلِك سُوءَ أَدَبٍ مِنِّي وَيَعِيبُهُ عَلَيَّ ! .... عِنْدَ ذَلكَ كانَ الرَّجُلُ قَدْ وَصَلَ إِلى المَكانِ الذِي بَلَغَهُ أبو عبدو الَّذِي كانَ يَبْتَسِمُ لَهُ بِكُلِّ بَشَاشَةٍ وَعَيناهُ تَلْمَعانِ وَأَلْقَى السَّلَّةَ إِلَى الخَلْفِ وَمَدَّ يَدَهُ إِلَيْه عَلَى اسْتِحْياءٍ وَبادَرَهُ مُسَلِّماً : أَهْلاً وَسَهْـ .....لاً..... لَكِنَّ الرَّجُلَ الأَنيقَ ... الذِّي فاحَتْ مِنْهُ رَائِحَةُ عِطْرِهِ الثَّمِينِ ... تَجاوَزَهُ إِلَى رَجُلٍ آَخَرَ كانَ خَلْفَ أَبي عبدو الحَمَّال الَّذي تَسَمَّرَ بُرْهَةً وَهُوَ يَنْظُرُ إِلَيْهِمَا يَتَعانَقانِ ... نَاسِياً يَدَهُ المَمْدُودَةَ ..... لِيَضَعَ فِيها ذَاكَ الأَنيقُ .... دِرْهَماً.

اللّقاءُ الأَخيرُ

وَقَفَ بَعيدًا عَن المَسجدِ يَنتظرُ خُروجَها بَعدَ صلاةِ الظُهرِ مُتَفيئًا بِمِظَلّةِ مَتْجَرٍ على الرَّصيفِ المُقابِل.

منذُ أَبْلغَهُ وَائِلٌ الخبرَ وهُوَ يَشْعُرُ بِهُوَّةٍ سَحيقَةٍ تَزدادُ عُمْقًا في دَاخلهِ تَجذِبُه بِقُوةٍ وتَعزِلُه عن العالَمِ شَيئًا فشَيئا ، حتى قُبيلَ خُروجِها ضاقَتْ رُؤياهُ وتَسَمَّرَت عَيناه على بابِ المسجدِ حيثُ بَدأَ المُصَلُّونَ يَتراكَضونَ إلى الخَارجِ استِعدادًا لاستِقبالِها.

هاهِيَ تَلُوحُ وَسْطَ الزِّحامِ يَتناوبُ حَمْلَها كَثيرونَ لَمَحَ بَينَهُم وائلا.

سَقَطَ شَيءٌ في داخِلِهِ جَعَلَهُ يَشْعُرُ بِرَهْبَةٍ وكَأَنَّ حُكْمَ قاضٍ يُوشِكُ أَنْ يُوقَعَ عَلَيْه.

حُبُّها القَديمُ تَحَوَّلَ تَحْتَ ضغطِ السِّنينَ وكَثْرَةِ الأسفارِ إلى ذِكرَى شِبْهِ مُتَحَجِّرةٍ تَقْبَعُ عَميقًا في أَحَدِ رُفوفِ الذَّاكِرَةِ يَعْلُوها غُبارُ الأحْداثِ والأَيَّامِ والأَشْخاصِ . وَحدَهُ تَأنيبُ الضَّميرِ كانَ يَخِزُ قَلْبَهُ التَّائِهَ كُلَّ حِينٍ

لُيُذيقَهُ من أَلَمِه.

-كانَ لا بُدَّ أن أَحْضُرَ اليَوْمَ لأجْلِ وائِل ، وُجُودِي بالقُربِ مِنْهُ سيَرْفَعُ مِنْ مَعْنَوِيّاتِهِ أمامَ إخْوَتِهِ وأخْوالِهِ ، الحَمْدُ لله هُوَ الآنَ رَجُلٌ رَاشِدٌ ناجِحٌ خَلوقٌ مَحْبوبٌ مِن الجَميعِ .. ، نِعْمَ ما رَبَّيْتِ يا ... أُمَّ وائل...

وغَصَّ بالكَلِمات الأخِيرَةِ تَخْرُجُ مِنْ قَلْبِهِ المملوءِ حَسْرَةً..

-لَنْ أَرْضَى عَنْكَ حَتَّى تُطَلِّقَ هذه الخَبيثةَ وتُعِيدَها لبَيتِ أَهْلِها الذي جاءَتْنا مِنْهُ.

-رَجُوكِ يا أُمّي اطْلُبي مني أَيَّ شَيءٍ غَيرَ هَذا ، أُحِبُّ زَوجَتي وَهِي لم تَفْعَلْ ما تَستَحِقُّ بِهِ هذا الحُكْمَ القَاسِي ، اصْبِرِي عَلَيْها يا أُمَّ والأَيَّامُ كَفيلَةٌ بِرأْبِ الصَّدْعِ بَيْنَكُما ، فَقَطْ اصْبِرِي عَليْها .. أرجوكِ.

-لم ولن أُحِبَّها ولا أَحْتَمِلُ عِنادَها ومَكرَها وغُرورَها ، طَلِّقْها يا بُنَيَّ وسَأُزَوِجُّك مِمَّن هِي خَيرٌ مِنها أَلفَ مَرَّة.

قَطَعَ الشّارعَ الفاصِلَ بِسُرعَةٍ ساعِيًا للاقْترابِ مِنْها ، وسارَ خَلْفَ المَوْكِبِ الذي كان يَتَقَدَّمُ سَريعًا تِلْقاءَ الحارَةِ القَديمَةِ التي احتضَنَتْ

مَنْزِلَهُما الصَّغيرَ . أَحسَّ بِرَشَاقَةٍ رَغْمَ آلامِ الظَّهرِ والمفاصِلِ التي لا تُفارِقُهُ ، وتابَعَ الاقْتِرابَ حتى حَظِي بمَوْقِعٍ قَريبٍ .. إلى جَنبِها .. خَلفَ وائِلٍ الذي لم يَنْتَبِهْ لِوُجودهِ وَهو يَنْظُرُ إِلَيهِ بِاعتِزازٍ وأَلَمٍ.

-الحمدُ لله عَلى سلامَتِكِ يا حَبيبتي ، إنَّه صَبيٌّ جَميلٌ ..كَأُمِّه.

-سَلَّمَكَ اللهُ وبارَكَ لَكَ فيهِ يا حَبيبي وَجَعَلَهُ مِنَ الصّالِحِينَ ، أَرْجُو أَنْ تَراهُ رَجُلاً وتَفْرَحَ بِهِ.

-نَفْرَحُ بِهِ مَعًا إِنْ شاءَ اللهُ.

فاضَتْ عَيناهُ بِعَبَراتٍ ساخِنَةٍ والمَوْكِبُ يَتَجاوَزُ الحارَةَ القديمةَ والمنزلَ.

وَضَعَ يَدَهُ عَلى كَتِفِ وائِلٍ وأَوْمَأَ إِليهِ أَنْ يُفْسِحَ لَهُ..

-أَبي ! .. ظَهْرُكَ..

-لا عَلَيْكَ يا بُنَيَّ أَعْطِني .. لا بُدَّ أَنْ أَحْمِلَها اليومَ .. لا بُدَّ أَنْ أَحْمِلَها .. لا بُدّ..

الخَشَبَةُ الثَّقيلَةُ فَوقَ مَنْكِبِهِ خَفَّفَتْ كَرْبَ نَفْسِهِ وراحَتِ العَبَراتُ تَتَسابَقُ عَلى وَجْنَتَيهِ وَهِي تَفِيضُ مِنْ عَينَينِ امْتَلأَتا حُزْنًا وأَسَفًا...

-تُطَلِّقُني يا حَسَنْ !؟ .. تُطَلِّقُني ؟! .. آه ..يا وَيْلي .. تُطَلِّقُني يا حَسَنْ ؟! ، أأنتَ هذا أَم غَيرُك ، هَلْ فَقَدْتَ عَقْلَكْ ، ألا يكونُ إرْضاءُ الأُمِّ إلا بِظُلْمِ الزَّوْجَة ؟ !

أيْنَ حُبُّكَ لي ؟! أين عَهْدُكْ ؟! أين إخْلاصُكْ ؟! ..أين وَفاؤُكْ ؟! أين أنْتْ ؟! أين حَسَنْ .. الذي أَحْبَبْتْ ؟!

كَلِماتٌ لم تُفارِقْهُ طَوالَ رُبْعِ قَرْنٍ .. بَقِيَتْ محفُورةً تَحْتَ رُوحِهِ فَلا تُغادِرُ إلاّ بَعْدَها.

حاوَلَ وائلٌ أَنْ يُريحَ أباهُ الذي لَفَتَ إليهِ نَظَرَ المُشَيِّعينَ الذين ما كانُوا يَعرِفونَهُ وأَثارَ اسْتِغرابَهُم ، لِكِنَّهُ بَقِيَ مُتَمَسِّكًا بِعارِضَةِ النَّعشِ وكَأَنَّهُ يَضُمُّ يَدَها حَتّى وَصَلتِ الجَنازَةُ إلى مَقْبَرَةِ الحَيِّ الكَبيرةِ.

-ما بِيَدِي حِيلَةٌ يا سُمَيَّةُ .. إنَّها أُمِّي ولا يُمْكِنُني إغْضابُها .. حَياتي في هذا الجَحيمِ بَينَكُما لَمْ تَعُدْ تُطاقُ .. صَدِّقيني يا سُمَيَّة ، إنَّ خُروجَ رُوحي لأهْوَنُ عَلَيَّ مِنْ فِراقِكِ .. اعْتَني بِنَفْسِكِ وبِوائِلٍ .. ابنِنا..

سامِحِيني يا سُمَيَّة .. سامحيني .. سامحيني يا حبيبتي..

التُّرابُ الذي بَدأَ يَنْهالُ على اللَّحْدِ أَزاحَ ما بَقِيَ مِنْ غُبارٍ عَلى ذِكْراها الطَّيِّبةِ وعادَتْ غَضَّةً تَنْبِضُ بالحياةِ.

عَانَقَ حَسَنُ وَلَدَهُ الوَحِيدَ عِناقًا طَويلاً باكِيًا وَقَفَلَ راجِعًا عَلى طَريقِ المَسْجِدِ.

د. مازن لبابيدي

مازن عبد الوهاب لبابيدي

أديب وشاعر سوري مقيم في الإمارات

من مواليد دمشق عام 1959 متزوج وله ابن وثلاث بنات

حاصل على درجة الإجازة في الطب البشري من جامعة دمشق

له مجموعة من القصائد الشعرية الجميلة والقصص القصيرة و الخواطر

نشرت على الانترنت.

مصطفى حمزة

لقاء

كانَ في السّوقِ يستكملُ حاجاتِهِ ، وأمامَ واجهةِ أحدِ المحالّ كادَ يصطدمُ بها تُمسكُ بيدِ طفلةٍ صغيرةٍ .. تَصافحا بشرودٍ وبابتسامتينِ أليمتينِ ! احمرّتْ وجنتاها المُطلّتان عبرَ حجابها الأسودِ المحتشمِ ، ولكنّها بدتْ طافحةَ السرور . أمّا هو فتسارعتْ دقّاتُ قلبِهِ ، واصطكّتْ ركبتاهُ قليلاً ولفّهُ الصّمتُ حتى خُيّلَ إليهِ أنَّ محالَّ السّوقِ الكبيرةِ كلِّها قد أغلقتْ أبوابَها من أجلِهما ، وأنّ الناسَ تواروا تعظيماً لهذا اللقاء ! وعبقَ بأنفهِ عبيرُ وردٍ جوريّ يعشقُهُ..

سحبتْ كفَّها من كفِّه بلطفٍ .. كفُّها الذي طالما سَرحَ في دنياه !

- قال : يا لها من مُصادفة !

- أربع سنوات !

- كنتُ أرجو ولو مُصادفةً واحدة .. خلال هذه السنين ..

- كنتُ مُسافرة.

- حقاً ؟ !

- أجل ، كنتُ في فرنسا مع عادل . كان في بعثة علميّة .

- زوجُك.

- نعم . وأبو هذه الطفلةِ الأميرةِ ... هبة .

- ما شاء الله .. ربّنا يخلي ويحفظ . الشَعرُ نفسُه !

ازدادت حُمرةُ وجنتيها وهي تهزُّ رأسَها موافقة .

- وأنتَ ، ما أخبارُك ؟

- الحمدُ لله ، أنهيتُ خدمةَ الجيشِ ، وعدتُ إلى وظيفتي القديمة .

- في الشركة ؟

- نعم . بانتظارِ فرصةٍ للسفر ..

- طالما تمنيتَ أن تُسافر .

أجابَ مبتسماً يُخاطبُ عينيها :

- أن نُسافر ..

هربتْ من نظرتهِ إلى كفّه ، وافترّ فمُها عن ابتسامةِ عتاب .

- وأنتَ تزوجتَ أيضاً !

- لا لم أتزوج ..عقدتُ قراني .. منذ سنة تقريباً.

- والزواج ؟

- لعلكِ تعجبين ... غداً مساءً ... تصوّري !

- غداً غداً ؟!

قالتها باضطرابٍ ظاهر ..

- نعمْ غداً غداً ، وأنا الآن في السوقِ لأستكملَ بعضَ الحاجاتِ للحفل

.

- مُباركٌ . أتمنى لك السعادةَ .. من كلّ قلبي .

- شُكراً .

ثم نظرَ إليها نظرةً تحملُ التوسّلَ والرجاء .. التقتْ عيونهما برهةً.. شعرَ بمرارةٍ لئيمةٍ تجتاحهُ اعتصرتْ قلبَهُ ، وهيّجت قرحتَهُ التي يُعاني منها منذُ افترَقا !

- مَيّ ، أتمنى أنْ تحضري حفلَ الزَّفافِ غداً . أتأتين ؟

- لا أدري .

- أرجوكِ ..

سكتتْ قليلاً ، ثم سألته :

- أين ؟

- في بيتِ أهلي ، تعرفينَهُ .

- طبعاً ... ولكنْ ..

- ستأتين ، من أجلِ خاطري ..

- لا أدري يا مُختار ، سأحاول ... ولكن ، عادل .. ماذا سأقول له ؟!

- قولي له إنه حفلُ زفافِ صديقتك .

- لا يُمكن ، هو يعرفهنّ كلّهن ..

- إذاً صديقةُ صديقتك ...

وضحكا معاً؛

قطعت ضحكتَها وسألته :

- بالمناسبة ، من تكون ؟ أكانتْ معنا في الجامعة ؟

رفعَ رأسَهُ بالنفي وقال :

- لا .. لا .. أنتِ لا تعرفينها . سيّدةُ بيت .. بنت حلال .

قالت باسمةً وهي تهزّ رأسَها عدّة مرّات :

– طبعاً طبعاً .. سيدةُ بيت ، بنت حلال .. توقّعتُ ردّكَ هذا ... أنت لا تتغيّر يا مختار .

هزّ رأسه موافقاً وهو يتأمّل في عينيها :

– هو المبدأُ يا ميّ ، مبدأ دفعتُ ثمنه وأدفع ... لو تعرفين الثمنَ يا ميّ !

– الندم ؟

– لا .. لا ، لم أندم قطّ ، تألّمْتُ كثيراً لكنني لم أندمْ ..

– ماذا إذن ؟

– أجابها وهو ينظر إلى موقع قدميه يُحاول إخفاء انفعاله :

– لاشيء .. فقط ... كنتُ أتمنى أن أعيش مع مَنْ أحببْتُها ..

– .....

– رفع نظرَه إلى وجهها ليرى وقعَ جوابهِ عليها .. كانت تعضّ على شفتها السفلى ! ثم رسمتْ ابتسامةً سريعة ، وقالت :

- كنتَ عنيداً !

- أنا ؟! وأنتِ ، ماذا كنتِ ؟!

- ما ذا كنتُ أنا ؟

- أنتِ ... كنتِ بلا هُويّة يا ميْ .. ضائعة .. مع كل عفافك وطيب منبتك كنتِ تائهة !

تغيّرتْ ملامحُها قليلاً ، وبدت كمن هاجَهُ جرحٌ قديمٌ ! ثم أجابتْ بتلك البسمةِ المصطنعة ذاتها :

- وكنتُ متمرّدةً على من كان يُحبّني ، ويرشدني .. وكنتُ أظنه متخلّفاً يعيش في عصر آخر أكل الدهرُ عليه وشرب ... أليسَ كذلك ؟

- بل كان يتمنى أن يحفظك بين جفنه وعينه ، ويمنحك شبابَه ومستقبَله .

- لعلّي تغيّرتُ قليلاً .. أقول قليلاً . ثم ضحكتْ بغنجها الذي يسحره .

دسّ كفّه في جيب سترته .. خاف أن تنقضّ على كفّها !

- إنّه القِسْمُ والنصيبُ يا مختار ..

ثم نظرتْ في ساعةِ معصمِها .. وقالتْ له باسمةً :

- ألا ترى أنَّ الحديثَ طالَ ، والوقتَ سرقنا .. وأين ؟! على الرصيف ؟!

فنظر هو الآخر في ساعته :

- لكننا لم نشعر بالوقت !

- إي والله !

تصافَحا للوداع ، وقبلَ أن يُطلقَ كفَّها سألَها مرةً أخرى :

- ألن تأتي يا ميّ ؟ عِديني أن تأتي ..

أجابته باسمةً وهي تتأهّبُ للمسير:

- حسناً . أعدك ، سأحضر ، بعدَ أنْ أراجع الجزءَ من القرآن الذي وصلتُ عنده .. وإن سمحَ لي عادل ، ولم تؤخرني أعمالُ البيت .

وألقت نظرةً إلى طفلتها وتابعت :

- وإذا أطاعتني هبةُ ونامت مع جدتها .. المقيمة معنا .

كانَ يُصغي إليها باستغراب .. وألم ! .. أكملت تغادرُه وهي تضحك :

- ألم أقل لكَ : لعلّي تغيّرت ؟!

أحْلامٌ

سألني أبي في تلكَ الجلسة ، والحرفُ يُسابق الحرفَ إلى قلبي:

-حدثني عن أحلامكَ يا بُنيّ ، بمَ تُناجيها وتُناجيكَ ؟

نهضتُ أجيبُهُ وأنا أرسم بيديّ في الهواء:

-بالسياحة يا بابا ، سأحضنُ العالَم ، وأعانق الغاباتِ ، وأقبّلُ قِممَ الجبال ! وأتعرّفُ إلى آثار البلدان ، وستعرفني كلّ وسائط النقل في البرّ والبحر والجوّ ...

اختلسَ نظرةً إلى أمي الكئيبة ، وقد رسمتْ شفتاهُ الرقيقتان ابتسامةً مريرةً،

وقال لي:

أسْألُ الله أن تُهرَعَ إليكَ أمانيك وأحلامُك ، ولكن اعلمْ يا بنيّ أنّ مناط البهجةِ في السياحةِ ليسَ بالمكان الذي تزوره ، بل بمن يَصْحَبُكَ إليه..

نحن الآن على ارتفاع ثمانمئةِ مترٍ عن سطح البحر ، في مقهىً راقٍ يُحلّقُ فوقَ وادٍ سحيق مديد ، وغُيومٌ بيضٌ شفيفةٌ تسبح بجانب نافذتنا ، والطاولةُ بيني وبينها عامرةٌ بما لذّ وطاب من خيرات الرحمن . أنا ساهمٌ بنظري عبر المدى ، أتذكر تلك الجلسةَ مع أبي منذ أكثر من ثلاثةِ عقودٍ وهي مكفهرّةُ الوجه ، قرديّةُ الملامح .. لسببٍ ، والله العظيم لا أعرفه!!

بلا رزان

تـمّ الأمـرُ بعـدَ منتصـف الليـل ، وأوى الجميـعُ إلى بيـوتهم ، وأمسـك بيـد زوجتـهِ عائـدَيْن إلى منـزلهما لم ينبسـا ببنـتِ شـفةٍ طـوالَ الطريـق ؛ لكـن عيـونهما الذاهلـة المغرورقـة بالـدمع كانـت تشـكو بصـمت : كيـف يُمكـن أن نعـود بـلا وحيـدتِنا ؟! كيـف نـدخلُ البيـتَ وقـد خـلا منهـا ؟! تُـرى ، مـا طعـمُ الأيـامِ القادمـة بـلا " رزان " ؟! ولّمـا شدّ على كفّها انطلقت آهتها ودموعها معاً!

توجّه مِنْ فَوْره إلى غُرفتها ، لقد اعتادَ أنْ يفعلَ ذلك منذ عشرين سنة ، وما أنْ وَلَجَ الغرفةَ حتى عَبِقَ به رِيحُها من كل جانب ! أسندَ ظهرَهُ إلى الباب وراحَ يُنقّلُ نظرَه في أشيائها : هذا سريرُها ولِحافُها ومخدّتُها ، هذا شالُها مُعلّقاً على المشجب إلى جانبِ عباءتها .. منشَفتُها .. ثيابُ الصلاة والسجّادة .. وكُتيّب الأذكار ، مرآتُها ومشطُها وكوبُها الأخضرُ ذو العنق المُذهَّب الذي تشربُ به الشاي ، معجم " أكسفورد " الحبيب إلى قلبِها فوقَ طاولتها ، مذياعُها الصغير وسمّاعاتُها .. تهاوى على سريرِها

بيديْهِ وخدّهِ ، وأجهشَ ثمّ انخرطَ في بُكاءٍ أليم سُمع صوتُه خارجَ الغرفة ! هُرِعَتْ زوجتُه إليه ؛ لتراه مُمْسِكاً بمخدّةِ " رزان " يضمّها كالطّفل إلى صَدْرِه ، ويسقيها من دموعِ عينيه!

تقدّمتْ منه ببطء ، ثم جلستْ إلى جانبهِ وضمّتْ رأسَه إلى صدرها بحنان ، وهمستْ بصوتٍ مُتهدّج خافِتٍ:

- :كفى ياحبيبي ، لا تبكِ ... وادْعُ لها بالهَناءِ والسعادة ، في بيتِ زوجها..

ثم انخرطا معاً في نَوْبةِ بكاءٍ غريب!!

مصطفى حمزة

وُلـد بمدينـة اللاذقيّـة – سـوريا في 10/ 4/ 1959م ودرسَ الابتدائيّـة والإعداديّة والثانويّة في مدارسها.

حصلَ على الثانويّة العامة– الفرع العلميّ سنة 1976، والتحق بجامعة تشرين باللاذقيّة – كليّة الآداب قسم اللغـة العربيّـة ، وتخـرّج فيهـا سـنة 1981 .

التحق بخدمة الجيش الإلزاميّة ضابطاً مجنداً في الفـترة مـا بـين 1982 – 1984م ، وفي أثنائها تقدم لامتحانـات الثانويـة العامـة – الفـرع الأدبي فحصل عليها من إحدى ثانويات دمشق .

حصل على دبلوم التأهيل التربويّ من كلية الآداب في جامعة حلب سنة 1989م

عمل مدرّساً للغة العربية في إحدى ثانويات مدينـة اللاذقيـة حتـى سـنة 1991 م حـين غـادر إلى ليبيـا حيـث درّس هنـاك في طـرابلس لمـدة عـام دراسي واحد ، عاد منهـا بعـد ذلـك وسـافر إلى دولـة الإمـارات العربيـة

المتحدة متعاقداً مع وزارة التربية والتعليم لتدريس اللغة العربيّة ، ومازال.

متزوج وله بنتٌ وحفيدة ، وثلاثة أبناء ، قضى أكبرهم شهيداً في الحادية والعشرين من عمره بأحداث الثورة في سوريا .

نشر بعض مقالاته الأدبية بداية الثمانينات في " المجلة العربية " السعوديّة .

له ديوان شعر بعنوان (بوح القلم) – مطبوع . ومجموعة قصص قصيرة بعنوان (نظرة وقصص أخرى) – مطبوع . وديوان شعر بعنوان (نهاوند)

– مخطوط . و مجموعة قصص قصيرة بعنوان (دمعة الخريف)

– مخطوط . وخواطر نثريّة وشعريّة بعنوان (خواطر) مخطوط.

أحد شعراء (الموسوعة الكبرى للشعراء العرب) – ج1

ينشر الكثير ممّا كتب في المواقع الإلكترونية الأدبيّة.

بهجت الرّشيد

ثقافة..

مسرحية ذات فصل واحد

المكان : صالةُ استقبال ، يبدو كلُّ شيء مرتباً في مكانه ، أجواءٌ صامتةٌ ، لحظات ويدخلُ ثلاثةُ أشخاص..

ـ لقد كانتْ وجبةً دسمةً..

قالها خالدٌ وهو ينظفُ أسنانَه من بقايا الطعام.

طارق : أحسنُ من الأكل في المطاعمَ مائةَ مرة.

خالد : لا .. لا .. المطاعمُ شيءٌ مختلفٌ .. المقبلاتُ وحدها شيءٌ لا يمكنُ مقاومته..

طارق : بالله عليك ، هل المطاعمُ تقدمُ لك (الكبابَ) بجودةِ ونوعيةِ (الكبابِ) الذي أكلناهُ الآن ؟

زياد : أرجوكم .. أرجوكم .. دعنا لا نعودُ إلى المربَّعِ الأول .. نعرفُ وللمرةِ الألفِ أنت يا خالدُ تحبُّ أكلةَ المطاعمِ وأنت يا طارقُ تحبُّ أكلةَ البيت .. ولكنّكم لم تجيبوا على سؤالي..

خالد : وماذا كان ؟

زياد : هل نسيتم ؟ أين صُوِّرَ فيلمُ (الماتركس) ؟

طارق : أمريكا طبعاً .. فهو من إنتاجها..

خالد : لا لا .. أنا اعلمُ ، في سيدني .. استراليا..

طارق : عجباً لم أكنْ أعلمُ ذلك!

زياد : أضفْهُ إلى سجلك إذن ، وأضفْ أيضاً أنَّهُ من تأليفِ الأخوين واكووسكي (أندي ولاري) وبطولةِ (كيانوريفز، لورنس فيشبورن، وكاري آن موس. (

خالد : فكرتُها غامضةٌ ، لكنها مشوقةٌ.

طارق : ليس أكثرَ تشويقاً من (سيد الخواتم) ، فهو ملحمةٌ عجيبةٌ تشاركَ الهوبيبُ والجنُ والبشرُ والأقزامُ في صناعتها ، كتبها البريطاني

(ج. ر. ر. تولكين) في ثلاثينيات القرن الماضي..

زياد : معلومةٌ قديمة..

طارق : لا .. لم تكن تعرفُها..

زياد : بلى ..اعرفُها طبعاً..

طارق : أوه .. تدّعي معرفةَ كلِّ شيء .. إذن أجبني عن هذا السؤال .. من هو بطلُ فيلمِ (السرعة) ؟ (يضحك) .. أجبني إن كنتَ تعرف..

زياد : أيها المتذاكي .. إنهما (نيو) و (ساندرا بولك)..

خالد : (يضحك) .. نيو !

زياد : لا تضحكْ .. اقصدُ هو نفسُهُ الذي قامَ بدور (نيو) في الماتركس

خالد : تقصدُ (كيانوريفز) .. قلها هكذا يا رجل .. (نيو) (يقولها مستهزءاً).

طارق : يا شباب .. الذي يعرف متى ولدتْ (انجلينا جولي) سأعطيهِ مائةَ دولار في الحال..

زياد : انجلينا !؟

طارق : نعمْ .. التي مثلتْ دورَ أمِّ الاسكندرَ في فيلم

(الاسكندر الكبير) مع الممثل (كولين فاريل..)

خالد : ليستْ صغيرةً .. ربما من مواليد 1960 .

زياد : لا لا يا رجل .. ربما 1970 ، وربما .. أكثر بقليل .. أو أقلّ .. بقليل..

نقاشٌ حادٌّ ومشاداتٌ كلامية..

طارق : اهدؤوا اهدؤوا .. هل تستسلمون ؟

يهزون رؤوسَهم أي نعم..

طارق : 19 ... 75..

خالد : أووووه .. لا زالتْ صغيرةً .. ولكن هل أنتَ متأكدٌ ؟

طارق : أكيد ، هكذا قرأ في الانترنت ، وهي ابنةُ الممثل (جون فويت) وشقيقةُ المخرج (جيمس).

زياد : فاتتنا هذه المعلومة!

طارق : الدنيا تعلمٌ .. خذْ هذه المعلومةَ أيضاً ، هل تعلمون أنَّ روايةَ (شفرة دافنشي) المكتوبةَ أحسنُ بكثير من الفيلمِ نفسِهِ ؟

زياد : دان براون ؟

طارق : نعم .. رواية دان براون..

خالد : لكن لا تناقشني في أن المخرجَ أحسنَ في اختيارِ الممثلين..

طارق : لا شكَّ ، فـ (توم هانكس) أدّى دورهَ بشكل رائعٍ ، أما الممثلةُ الفرنسيةُ (أودريتوتو) فأظنُ أنَّ هذا الفلمِ هو أفضلُ أفلامها..

زياد : وأخيراً اتفقتما على شيء..

طارق : لكن تظلُ الروايةُ المكتوبةُ أحسنَ من الفيلم ، فبينهما اختلافاتٌ كثيرة..

يخرج زياد من الصالة ، يعودُ ومعهُ الشاي .. يقدّم الشاي قائلاً:

وما رأيكم يا شباب بـ (التايتانك) ، جاك وروز ؟

خالد : لا..

طارق : أنت تثيرُ المشاكلَ .. فمن ينكرُ (كيت وينسلت و ليوناردو دى كابريو) وإبداعَهما..

خالد : هذا الأمرُ لا يقبلُ النقاشَ..

زياد : أنا أسمّي الفلمَ .. الحبَّ القاتلَ..

خالد : رومانسيةٌ و...

تدخلُ الصالةَ (فاطمةُ) ابنةُ زياد ، ذات الثماني سنوات ، تحملُ بيدها دفتراً وقلماً .. مقاطعةً حديثَهم:

بابا .. بابا..

زياد : نعم يا ابنتي..

فاطمة : عندي سؤالٌ .. معلمتنا سألتْ كلَّ واحدةٍ منا سؤالاً ، وغداً تريدُ الإجابةَ .. إنَّهُ امتحانٌ .. وأنا لا أعرفُ الجوابَ فهلْ تساعدُني ؟

زياد : نعم .. اسألي..

فاطمة : ما هي أسماءُ بناتِ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ؟

الجميع : بنات الرسول !!؟؟

زياد : أعلم أنَّ إحداهنّ (فاطمة) كما أخبرني إمامُ المسجد ، عندما سألته عن اسمٍ لكي اسميكِ به..

الجميع : نعم .. فاطمة .. فاطمة..

فاطمة : وبعد ، فأمي تقول إنهن أربعُ بنات..

الجميعُ في صمتٍ مطبقٍ .. ينظرُ أحدُهم في وجهِ الآخر .. ثم يقطعُ خالدٌ الصمتَ في خطوةٍ شجاعةٍ قائلاً:

نعم ، الأخرى هي خديجة..

فاطمة : (باستغراب) عمو ولكنَّ خديجةَ زوجةُ الرسول ، فكيفَ تكونُ ابنتَه ؟

خالد : نعم .. نعم .. استدلالٌ عقليٌّ جيدٌ (يقولها مع نفسه) .. اقصد..

طارق : إن لم تكنْ متأكداً فساعدنا بسكوتِك .. دعنا نفكّرُ قليلاً..

خالد : تفضلْ أستاذ طارق .. تفضلْ .. أتحفنا بمعلوماتِك..

طارق : أنا لم أقلْ إنني اعرفُ ، قلتُ دعنا نفكُّر..

زياد : رجاءً اصمتوا ، دعنا نحلُّ هذه المعضلةَ ، فالبنتُ عندها امتحانٌ غداً..

يدخلون في نقاشٍ محتدمٍ ، فوضى كلاميةٌ تعمُّ المكانَ .. ثمّ..

خالد : أعيروني انتباهكم .. لقد اقتربتُ من الحل..

زياد : ما هو ؟ انطقْ يا رجل..

خالد : لا أعرفُ بالضبط الاسم ، ولكنيّ سمعتُ أحدَهم مرةً يقولُ إنَّ

إحدى المغنياتِ ، يعني مغنيةً من زمن الفنِ الجميل ، تسمتْ باسم إحدى بناتِ الرسول ..لكن من هي .. من هي ؟

طارق : عرفتها..

الجميع : من ؟

طارق : أمُّ كلثوم..

الجميع : نعم هي..

زياد : بقي اسمان..

بعد كلام محتدم .. وفوضى كلامية..

زياد : بابا فاطمة .. اذهبي إلى أمكِ كي تكملَ لكِ بقيةَ الجواب ، فقد أرهقنا ضيوفَنا .. أليسَ كذلك ؟

فاطمة : حاضر بابا..

خالد : أي يا شباب .. أين كنا ؟

طارق : لا أدري فقد أنستنا أسئلةُ فاطمةَ كلَّ شيء..

خالد : لا بأس .. لا بأس .. سؤال .. من هو الذي قام بدور (أخيل) في فلم (طروادة) ؟

زياد : سؤال سخيف .. (براد بيت) .. طبعاً.

بهجت الرشيد

بهجت عبدالغني عبدالله الرشيد الحمداني

من مواليد نينوى في العراق العراق 31 / 10 / 1981

حاصل على بكالوريوس علوم الحاسبات من جامعة الموصل 2006 وبكالوريوس علوم القرآن والتربية الإسلامية من جامعة الموصل 2011.

له مجموعة من الإصدارات قيد الطباعة

1ـ مدخل إلى الاجتهاد المقاصدي ـ قيد النشر (دار الكلمة ـ القاهرة).

2ـ (كلمة في التاريخ) ـ كُتيب ـ منشور في مكتبة الواحة الثقافية.

3ـ سد الذرائع وفتحها وتطبيقاته المعاصرة برؤية مقاصدية ـ قيد المراجعة.

4ـ بولس والمسيح وجهاً لوجه ـ قيد المراجعة.

5ـ الأمثال في القرآن الكريم ـ مخطوطة.

6ـ محمد في العهد القديم والجديد ـ مخطوط

7– مجموعة الكتابات الأدبية نشرت في ملتقى رابطة الواحة الثقافية

.

بشار البدوي العاني

النهر الغادر

القمرُ مختالٌ كعادتهِ لم يكتفِ أنْ يتربعَ في صحنِ السماءِ زهواً و غروراً بلْ رسمَ صورتَه على صفحةِ الماءِ الجاري المتدفقِ انسياباً و عنفواناً. كانتْ ليلةٌ صافيةٌ ، زادتهُ بهاءً و زينتْ ما حولَهُ لآلئُ درٍ مشرقةٍ من نجومٍ و كواكبٍ ، فكان كنحرِ غجريةٍ تحلّقتْ من حولهِ حباتُ اللؤلؤِ و الزبرجد.

على ضفةِ النهرِ العظيمِ العتيقِ ، وفي أحدِ الزوايا القاتمةِ تحتَ جسرٍ معلقٍ مهترئٍ ، جلسَ رجلٌ في منتصفِ العمرِ يراقبُ صفحةَ الماءِ الساريةِ المدبرةِ بوجومٍ و ضيقٍ ، ولم يعبأْ لا بالقمرِ ولا بالسماءِ ولا بالنهر. تتخللُ دقائقَ صمتهِ وهواجسهِ نغماتٌ حزينةٌ يطلقُها بين الفينةِ و الأخرى ، أو دمعاتٌ ينشفُها على صفحةِ خدّهِ ،الذي رسمَ الدهرُ به أزقةً و دهاليزَ.

يصفقُ أحياناً بيديهِ محوقلاً ، وأحياناً يكتنزُ رأسَهُ بيديهِ كأنَّهُ يعصرُهُ ، مطرقاً رأسَهُ إلى الأسفل.

-سامحني يا ربّ.. صرخَ بصوتٍ عالٍ ممزقاً أماراتِ الصمتِ و تيجانَ الهدوءِ ، و توجَّهَ إلى النهرِ مباشرةً خائضاً في مائهِ، وصوتُ قدميهِ على صفحةِ الماءِ يصدرُ فرقعةً و صخباً ، ممّا لفتَ انتباهَ مَنْ جلسَ يختلسُ صفاءَ المساءِ على ضفافِ النّهرِ.

استمرَّ يخوضُ عُبابَ الماءِ حتىّ همَّ أنْ يغمرَهُ موجُهُ الباردُ ، وازدادتْ حركاتُه صخباً و عشوائيةً ، ممّا دفعَ عيونَ البعضِ بالتَّسمرِ لمراقبةِ المنظرِ ، بينما ركضَ آخرونَ باتجاهِ الصوتِ ، وكأنّهم أدركوا أنَّ خطراً ما يقتربُ ، فدفعتُهم شهامةٌ ومروءةٌ ،و ربما فضولٌ لاستجلاءِ الحقيقة.

صرخَ أحدُ المهرولين:

-كفاكَ أبا محمد ، تعالَ يا أخي ،الماءُ بارد و عميق.

-كنتُ أعلمُ أنّني سأجدُك هنا هيا.

كأنّما لجمَهُ هذا الصوتُ الرجولي الرخيمِ ، فسكنتْ حركتُه وسطَ الماءِ ،

و توقفَ دون أنْ يلتفتَ إلى مصدرِ الصوتِ.

بقي متسمراً في مكانهِ ، بينَ تياراتِ المياهِ ، وخيالَ القمرِ المرتسمِ على صفحتِها.

خاضَ المنادي غمارَ الماءَ بهدوءٍ و خطواتٍ واثقةٍ حتى اقتربَ من الرَّجُلِ ، وربتَ على كتفِهِ بحنانٍ وحبٍّ ، مما دفعَ الرجلَ إلى الالتفاتِ و الشروعِ في نوبةٍ هستيرية من البكاءِ ، معانقاً ذاكَ الرجلَ شاكياً مهمهماً بكلام غيرِ مفهومٍ ، طمستْ معالمَهُ حشرجاتُ النشيجِ وبعثرتُهُ هباتُ النسيمِ.

همساتٌ قليلةٌ تبادلهَا الاثنانِ كانتْ كافيةً بإقناعِ أبي محمدٍ بالخروجِ منَ الماءِ بخطىً متثاقلةٍ ومحملةٍ بوجعٍ مبهمٍ

كانتْ معلنةً نهايةَ تجمُّعِ الناسِ و مشاهدتهم هذا العرضَ التراجيدي الحزينِ.

عادتْ عيناي إلى مراقبةِ جريانِ الماءِ و أسرابِ أعوادِ (الزل) المنتشرةِ بجمالٍ على ضفافِ النهرِ ، والى قفزِ الضفادعِ الجائعةِ على صفحتهِ ، طالبةً فريسةً دسمةً من أسرابِ الحشراتِ المحلقة.

ما زلتُ أفكرُ (بهذا العجوز) وأخمّنُ ما الذي دفعَهُ للتوغلِ في حضنِ هذا النهر.

وبعد ساعاتٍ قررتُ الرجوعَ إلى منزلي معلناً نهايةَ رحلتي النهريةِ، قافلاً أجرجرُ أذيالَ الهزيمةِ و الخذلان، بما أنَّ صنارتي لم تفلحْ في اصطيادِ أيّ شيءٍ من هذا النهر ، لا سمكَ ، و لا حتى ضفدعاً أو فأرا.

في طريقِ العودةِ وعند دخولي أحدَ الأزقةِ المؤديةِ إلى بيتي مستلاً صنارتي الخائبةَ ، تصادفتُ برجلٍ مسرعٍ يهمُّ بدخولِ الزقاقِ ، ولولا سترُ الله لفقأتْ صنارتي عينَهُ معلنةً عن أولِ صيدٍ لها منذُ دهور.

-أنا جدٌّ أسِفٍ لم أنتبهْ يا سيدي لدخولكَ.(صوتٌ متلعثمٌ يملؤهُ الخجلُ)

-لا عليكَ يا بنيَّ حصلَ خير.(بهدوءٍ وإيمان).

تسمرتُ في مكاني، وأنا أنظرُ إلى ذاكَ الرجلِ، الذي لمْ يكنْ في الحقيقةِ : سوى الرجلِ المنقذِ الطيب.

أهلا ياعمُّ لقدْ رأيتُكَ و أنتَ تخرجُ أبا محمدٍ من الماءِ و .....

-أخي الأكبرُ المفجوعُ بغرقِ وحيدهِ في هذا النهر، أعانهُ الله لقدْ ذهبَ عقلُهُ حزناً وكمداً.

لم تستطعْ شفتي أن تنبسَ بكلمةٍ واحدةٍ ، ولا بردِ سلامِ المنقذِ المودعِ ، وهو يهم بالفرارِ من سيلِ أسئلتي الجارفةِ ،التي ارتسمتْ بوقاحةٍ و فضولٍ على محياي فآثرَ الرجلُ أنْ يفرَّ من أعبائِها و تبعاتِها.

أحسستُ بمرارةٍ وحرقةٍ تختلجانِ في حنجرتي وكأنَّما صخرةٌ نبتتْ في جيدي.

وأدركتُ الآنَ لماذا غابَ جمالُ الأمسيةِ عن عيونِ ذاك المسكينِ ولماذا غدا ذلك النهرُ المتفجرُ حيويةً و خيراً مصدرَ تعاستهِ و قهرهِ وصارَ قرصُ البدرِ المرتسمِ على صفحتهِ شبحَ موتٍ يقهقهُ بفزعٍ وشماتة.

نافورة الذكريات

تحلَّقَ الناسُ حولَ تلكَ النافورةِ العجيبةِ ،والتي تلفظُ المياهَ و الرذاذَ بصحبةِ الألوانِ والأنغام .

البعضُ جلسَ منتشياً بروعةِ المنظرِ وبهاءِ المكان ،والبعضُ شرعَ في الرقصِ حولَ قرصِ الساحةِ، وقلةٌ من الناسِ انزوتْ بالقربِ ،تراقبُ بصمتٍ و فضولٍ هذا الحفلَ البديعَ .

لم تمضِ سويعاتٌ قليلةٌ على وصولِ ذاك الشابِ الغريبِ إلى تلكَ البلادِ النائيةِ الجميلةِ.

هو في مقتبلِ العمرِ ، وجههُ المفعمُ بتراسيمِ الخجلِ و البراءةِ و الطهرِ ،وشاربانِ لم تكتملْ ملامحُهما بعدُ ، و عيونٌ خضراءُ نقيةٌ ،تأكلُ كلَّ شيءٍ تقعُ عليهِ ،كما النارِ في الهشيم.

هذه المرةُ الأولى التي يشاهدُ فيها هذهِ السحناتِ و المخلوقاتِ الجميلةِ!

نساءٌ لا يرتدينَ من الثيابِ إلا ما يسترُ عوراتَهنَّ ، رجالٌ يحتسونَ قواريرَ الجعَّةِ ، كهولٌ لم تحطمهم قسوةُ الأيامِ فأطلقوا العنانَ لما تبقى لديهم من قوةٍ ،يرقصونَ بفرحٍ وهمةٍ.

نظر إلى صديقهِ الجالسِ بالقربِ مهمهماً: ألا يجدونَ شيئاً يلبسونَهُ !!؟

لم يتمالكِ الصديقُ نفسَهَ من الضحكِ ،فأرسلَ قهقهاتٍ هستيريةٍ ،لفتتْ إليه انتباهَ بعضِ الحاضرين.

-صبراً ياأخي ، لم ترَ شيئاً بعد.

اعتدلَ الصديقُ في جِلستهِ ،و تابعَ كلامَهُ ،بشكلٍ أشبَهَ ما يكونُ بالوعظِ ،بعد أنْ غابتِ ابتسامتُهُ:

-منذ ساعاتٍ وصلتُ إلى قارةٍ جديدةٍ ،تتصفُ بكثيرٍ من العاداتِ و التقاليدِ ،والتي لا تمتُ إلى عالمنا و مجتمعنا بأيِّ صلةٍ.

-لا تستهجنْ أيَّ شيءٍ تراهُ هنا، يجبُ عليكَ أنْ تسمعَ ،لكي تتعلمَ ،و تشاهدَ لكي تدركَ وتحللَ ، ماذا يدورُ حولكَ ،وتغوصَ في أغوارِ عقولِ من حولكَ، مكتشفاً مساحاتٍ جديدةٍ ،ستكونُ بالنسبةِ لكَ جزيرةَ الأمانِ ،حيثُ ستقفُ على صخورِها، لتكشفَ عبابَ بحرِ هذا العالمِ

الجديد.

مضتْ دقائقُ صامتةٌ ،أمضاها الاثنانِ في التّحديق والإصغاء إلى وصلةٍ موسيقيةٍ هادئةٍ ،اشتبكتْ فيها الأيدي، و تعانقتْ الهاماتُ ، على أنغامٍ شجيةٍ و صوتٍ نسائيٍ رخيم.

-ها ،في فمكَ سؤالٌ يؤرّقُكَ ! هاتِ ماعندكَ ؟

-هي موجٌ من الأسئلةِ ،و لكنْ سأحاولُ اختصارَها ،كي لا أثقلَ عليك.

-لا تشعرْ بالحرجِ ، كلنا عندَ لحظةِ وصولِنا ،داهمتنا الملايينُ من الأسئلةِ ،و أجابنا عليها إخوةٌ لنا ، ممن سبقونا إلى هذه البلادِ ،أو أدركنا كنهَها بتقادمِ الأيامِ.وغداً ستقفُ هاهُنا ،في وسطِ هذه الحديقةِ الغنّاءِ لتجيبَ عنْ تساؤلاتٍ كثيرة.

بين معمعةِ السؤالِ والإجابةِ ، وبدونِ سابقِ إنذارٍ أو وعيد ،اقتربتْ منهم فتاةٌ فائقةُ الجمالِ ،أرسلتْ ضفائرَها الذهبيةَ على كتفيها!

كانتْ عيناها بلونِ السماءِ الصافيةِ ،ووجهُها كالبدرِ في ليلةِ التمامِ ، ذاتُ بشرةٍ بيضاءَ مترعةٍ بحمرةٍ، كأنّما أترعتْ من زهورِ العالمِ كلِّه.

اقتربتْ بثباتٍ و شجاعةٍ مستغربةٍ ،وهمستْ بكلماتٍ رقيقةٍ لم يفهم منها ذاك الغريبُ شيئاً.

أيقظَهُ صوتُ صديقهِ من غفوتهِ :

-إنَّها تريدُ أنْ تُراقِصَكَ!!

-ماذا ..؟

-إنَّها تدعوك للرقصِ !ألا تسمع ؟

-لماذا أنا ؟أنا لا أجيدُ الرقصَ و..

كلمها صديقُهُ بلغتها المجهولةِ ،و لا تزالُ بهيّةُ الجمالِ تنظرُ بعينيينِ و قحتينِ إلى ذاك الفتى المقتولِ على نطعِ الجمالِ والدهشةِ.

تجيبُهُ و قدْ أرفقتْ حديثَها بابتسامةٍ خجولةٍ ، و رمشٍ أطلقَ جعبةً من العتابِ والحيرة.

-إنها تقولُ :لا عليك ! ستعلّمُك هي الرقصَ، يجبُ أنْ لا تردَّ دعوتَها هيّا... قُم!

-ولكنْ.. أنا. كيفَ. لم....؟

أمسكتْ بيديها الحريريتينِ يدَه ،وسحبتهُ حولَ ذاك القرصِ العجيبِ ،متوسدةً استغرابَهُ و ذهولَهُ و غرورَه الدفين...

سبعةُ أعوامٍ مرّتْ ،وما زالَ ذاكَ الفتى الذي اكتملَ رسمُ شاربيهِ على سدةِ شفتيهِ ،يراقصُ خيالَ تلكَ الملاكِ الشقراءَ ،ينظرُ إليها و قد ملأتْ الساحةَ صخباً و جمالاً.

وهوما يزالُ ينتصبُ على تلكَ الأريكةِ الخشبيةِ الخضراءِ ،و بعيونهِ ذاتِ اللونِ نفسهِ، يراقبُ بصمتٍ ضوضاءَ الراقصين، و يجيبُ عن أسئلةِ القادمين الجددِ بلا حرجٍ ،و لا مللٍ، بلْ بمتعةٍ و فخرٍ،

ويرقبُ بين الجموعِ متسائلاً: هل سيعودُ مرةً أخرى طيفُ تلك النسمةِ البيضاء، لتدعوَهُ إلى الرقصِ...؟

اثناء على الطريق

ارتعشـــتْ .. اهتـــزَ جســـدُها كلُّـــه .. أنـــتفض كطـــائرٍ جـــريحٍ .. صـوتُ اصـطفاك البـابِ وراءهِ مـازالَ يـدوي في أذنيهـا ـ والكلـماتُ عاصفةٌ هوجاءُ مازالتْ أصداؤها مبعثرةً في المكـان. ارتمـتْ عـلى أقـربِ مقعدٍ بجوارِها ، وأسندتْ رأسَها على المسندِ..

تحـير الـدمعُ في مقلتيهـا وتسـاقطَ منسـكبا مـن بـين أهـدابِها.. سـمعتِ خفقاتِ النبضِ في رأسِها ممتزجةً بآخرِ كلماتهِ قبـلَ أنْ يـذهبَ : يجـبُ أنْ تقدمي استقالتَك من العملِ غداً .. غداً أتفهمين؟

قبضَ الحزنُ عـلى قلبِهـا .. مـلأتِ الخـواطرُ رأسَـها .. بـدأتْ الـذكرياتُ تتجمَّعُ وتتفرَّقُ ـ تظهرُ وتغيمُ .. التقاؤهما على مقاعد الدراسة .. علاقةٌ من الود والانسجامِ تربطهما .. تطورُ العلاقةِ إلى حبٍّ صامتٍ .. فرحـةٌ بأولِ عملٍ لهما ـ ثوبُ العرسِ ، وأيامٌ قليلةٌ حلوةٌ كوَّنا فيها عائلةً صغيرةً

خالتها كزورقٍ صغيرٍ سيسيرُ يتبخترُ في بحرِ الحياةِ ـ فإذا برياحٍ معاكسةٍ تلعبُ بالزورقِ، وإذا بزميلِ الأمس يغدو رجلاً آخرَ ، وإذا الغيرةُ صخرةٌ نابيةٌ يوشكُ زورقُها أنْ يتحطمَ عليها أشلاء.والكلماتُ الغاضبةُ ترنُّ في أذنيها : مكانكِ لن يكونَ إلاَّ في البيتِ فقطْ..أنا سأقدّمُ لكِ كلَّ ما تطلبين ، وأسعدُكِ.

أبكلماتٍ غاضبةٍ يريدُ أنْ يمحي أحلامَ العمرِ كلهِ، وسنواتٍ أراقتْ فيها ماءَ عينيها لتبني مستقبلاً ومجداً .. أبكلمةٍ تضيعُ كلُّ الأماني؟! بعدَ ساعاتٍ دارَ المفتاحُ في البابِ، ودخلَ الزوجُ إلى المنزلِ، فوجدَهُ يغرقُ في صمتٍ كصمتِ القبورِ ـ بدا لهُ كمسرحٍ أُطفِئتْ أنوارُهُ وأسدلتْ ستائرُهُ وغادرَه روادُهُ ..جالتْ عيناهُ تمسحُ أرجاءَ المكانِ في صمتٍ، فعلقتِ العينانُ بمظروفٍ صغيرٍ قدْ وُضِعَ في صدرِ المكانِ بعنايةٍ.. فضَّ الغلافَ بأصابعَ مرتجفةٍ وقرأَ : زوجي الحبيب،وما أحلاهُ من نداءٍ إلى قلبي..!

تساءلتُ كثيراً.. ترى ما الذي قد أحببتَه فيّ؟

إذا كانَ ما أحببتَ هو الجمالُ ـ فلستُ بدميةٍ خشبيةٍ، وكلُّ جمالٍ إلى زوالٍ،

وإذا كنتَ قد أحببتَ شخصيتي ، فعملي هو جزءٌ من شخصيتي وكياني (سأقدِّمُ لكِ كلَّ ما تطلبينَهُ .. وأُسْعِدُكِ) ـ هذا ما تقولُ؟ ترى ما هي السعادةُ في نظركَ ؟ ـ هل هي أنْ تلفُّني كشرنقةِ دودةِ القزِّ في ثوبٍ من الحريرِ ؟أم أنْ تضعَني كعصفورٍ صغيرٍ في قفصٍ من ذهبٍ؟ ليسَ في الحريرِ أو الذَّهبِ سعادتي، ولكنَّ سعادتي تكونُ عندما تتشابكُ أيدينا لنضعَ معاً وفي مشاركةٍ حقيقيةٍ كلَّ حجرٍ في بيتِنا .. بيتنا الذي سنضعُ لبناتِهِ من الحبِّ، ونقيمُ أعمدتَهُ على أساسٍ من الثقةِ والاحترامِ. أمّا إذا كنتَ تظنُّ أنِّي سأكونُ مجرَّدَ ظلٍّ باهتٍ لكَ فهذا ما لا أستطيعُهُ، فأنا إنسانةٌ قادرةٌ على الخلقِ والإبداعِ.

لنْ أقولَ وداعاً ، ولنْ أقولَ إلى اللِّقاء .. لقدْ تركتُ لكَ الخيارَ.

صور قديمة

فى خطواتٍ ثابتةٍ ، متزنةٍ ، تملأُها الثقةُ.. خطواتُ مَن تعوَّدَ أنْ يسيرَ على القمَّةِ ، أنْ يلمسَ بيديهِ النُّجومَ، دخلتُ إلى قاعةِ المحاضراتِ . كالعادةِ..

المدرَّجُ يضجُّ بالطلبةِ ـ انتشيتُ بصوتِ ضجيجهم وهمهمتهم رفعتُ عينى إليهم .. صمتتْ الشفاهُ ، وشُدَّتْ إلىَّ الأبصارُ .. إنتابنى ذاتُ الشّعورِ الذي أشعرُ به كلَّما دخلتُ إلى هذهِ القاعةِ .. شعورُ الملكةِ وسطَ رعيتِها محاطةً بالابتسامِ على الوجوهِ ، والترحيبِ فى العيونِ. بدأتُ أحلِّقُ فى سماءِ مملكتي.. لم أكنْ أبحثُ عمَّا سأقولُهُ .. كانتِ الكلماتُ تعرفُ طريقَها وحدها فتخرجُ طيعةً لينةً ـ ألقى بها كما يلقى الصيادُ الماهرُ بشبكتهِ فإذا بها تحوى كلَّ العقولِ والآذانِ والعيون.. أمسكُ بأطرافها بإحكامٍ ، ولكنْ ليسَ من أجلِ أنْ أشدَّهم إلى الشاطئِ ، ولكنْ لأسبحَ بهم ومعهم فى بحورٍ واسعةٍ من العلمِ والمعرفةِ .. لا أميزُ

فيهم ملامحَ أو أرى أشخاصاً ـ لا أراهم إلاَّ منْ خلالِ تكتلِهم أواجتماعهم على المدرجاتِ .

بعدِ انتهاءِ المحاضرةِ تحلَّقَ الطلبةُ حولي .. بدأوا في مناقشتي ـ جذبَ انتباهى أسئلةٌ ذكيةٌ تدلُّ على نبوغٍ لإحدى الفتياتِ.

تأملتُها .. راعتنى جديةٌ وصرامةٌ لوجهٍ مستديرٍ فى رقَّةٍ ، يحتضنهُ شعرٌ قصيرٌ جدا ، وعينان سوداوان ذواتا نظراتٍ نافذةٍ ، لكنَّها جريحةٌ ، محزونةٌ . شعرتُ بألفةٍ تربطنيُ بهذا الوجهِ ، وكأنِّي أعرفُهُ منذُ زمنٍ طويلٍ.

قلتُ صادقةً : أتوقعُ لكِ تفوقا.

قالتْ (فى إصرارٍ وبصوتٍ هامسٍ وكأنَّها تخاطبُ نفسَها) : يجبُ أنْ أنجحَ ، وأنْ أتفوَّقَ ـ

لابدَّ أنْ أُصْبحَ شيئاً عظيماً.

أصابني دوارٌ مفاجئٌ، وخفقَ قلبي بعنفٍ.

في طريقِ العودةِ كنتُ أُهرولُ ، وكأنِّي أحاولُ الهربَ من شيءٍ ما،

الكلماتُ تدورُ فى رأسي المصدوعِ..

(يجب أنْ أُصبِحَ شيئاً عظيماً) ـ الكلماتُ مفتاحٌ فتحَ نافذةً أغلقتُها منذُ زمنٍ ، فهبَّتْ رياحٌ قويةٌ على أعماقي، تبعثُ بالماضي، وتطيِّرُ أوراقَهُ ، وتعيدُ شريطَ الذكرياتِ ، وتجعلُهُ يلفُّ منْ جديدٍ،

تبعثرُ الصورَ المخزونةَ فى الأعماقِ تطفو فوقَ السَّطحِ صورةٌ غائمةٌ ..

تتضحُ الصورةُ والصورةُ لطفلةٍ وقفتْ تسألُ : أمِّى .. أينَ أبى ـ أريدُ أنْ أراهُ ؟

تحتضنُ الأمُّ الطفلةَ ، تحكى:

كان المخاضُ يدقُّ دقاتِ الألمِ ، جدرانُ بطنى المتكورِ ، فجاءَ صوتُهُ أكثرَ إيلاماً : يكفينى ثلاثُ بناتٍ ..

إذا جاءتِ الرابعةُ ، فأنتِ طالقٌ.

لم أكنْ أجسرُ على مخالفةِ أوامرِهِ .. لو بيدى ما خالفتُهُ ، ولكنَّ إرادةَ اللهِ كانتْ أقوى ـ فأتيتُ ، بصراخٍ متواصلٍ أثبتْ وجودَكَ ، وتحديتُهُ.

وبهدوءٍ وبساطةٍ رحلَ ـ تركَ الأسرةَ ، ذهبَ يبحثُ عن الولدِ فى بيتِ آخرَ، ومع زوجةٍ أخرى.

للحيرةِ والضياعِ تركَ أُمَّاً مكبلةً بعجزِها ترعى أسرةً ، وأفْواهًا صغيرةً جائعةً.

تهتزُّ الصورةُ .. ترتعدُ .. والدمعةُ الساخنةُ تنزلُ على خدي ـ تلسعُهُ..

تطفو صورةٌ أخرى .. الطفلةُ تغدو فتاةً يانعةً ، تتفجرُ أنوثتُها ، ولأنَّها كانتْ أُنثى ـ رحلَ الأبُ بعيداً

شتَّتَ أسرتَها ، يبحثُ عن الولدِ المنشودِ . وتكفيراً عن ذنبٍ لم يكنْ لها فيهِ يدٌ .. كرهتْ أنوثتَها..

رفضتها ، أخفتها.

اقتربتِ الفتاةُ من أمِّها ، احتضنتها ، وعدتها : لنْ أجعلَكِ تندمين على إنَّك لم تنجبي ولداً.

(سأصبحُ شيئاً عظيماً تفتخرين بهِ ، وتعتزين).

تغيمُ الصورةُ ، وتبتعدُ..

وبفكرٍ مضطربٍ ، وأنفاسٍ لاهثةٍ .. دخلتُ إلى منزلي .. ضرباتُ قلبي

تدوي بين أضلعي كبندولِ

ساعةٍ .. يتصبَّبُ العرقُ بارداً من منبتِ شعري ، ويتركني أرتعد.

نظرتُ حولي .. سرتْ فى جسمي قشعريرةٌ ـ شعرتُ بجدرانِ المنزلِ

حولي تطولُ ، وتطول..

تصبحُ وكأنَّها سورُ سجنٍ يحيطُ بى .. تشعُّ برودةً ثقيلةً تلفني .. خُيلَ إلىَّ

أنّى سمعتُ صوتاً..

أنصتُّ.. لم أسمعْ سوى صوتِ أنفاسي اللاهثةِ ، تُردِّدُ صداها الجدرانُ

الخاليةُ.

أتذكَّرُ أخواتي الثلاث وقد رحلنَ الواحدةُ تلو الأخرى ـ صورةٌ من

الأمِّ المقهورةِ فتحنَ بيوتاً ، وأنجبنَ

أطفالاً . وصورةٌ أخرى تطفو من ملفِ الذاكرة:

(أصبحتِ الفتاةُ امرأةً ناضجةً) .. تقولُ لها الأمُّ :

أرجوكِ .. اقبليهِ زوجاً . أنا أمُّكِ ، أعرفُ مصلحتَكِ ، وهو إنسانٌ ممتاز

، والعمرُ ياابنتى يجرى.

تقولُ الابنةُ في إصرارٍ : لنْ أكونَ صورةً منهنَّ ، آلةَ تفريخٍ لرجلٍ يأمرُ

فيطاع .أرفضُ .. أرفض.

وكمن يستيقظُ فجأةً بعد يومٍ ثقيلٍ ـ أو تفتحُ عيناهُ بعد عمىً طويلٍ..

أشعرُ فجأةً بالوحدةِ ـ بالغربةِ تجتاحُ روحي

بالجدرانِ تشعُّ برودةً ـ تتغلغلُ في أعماقي .. أبحثُ عن غطاءٍ .. أتدثرُ..

والصورةُ فى هذهِ المرةِ قاتمةٌ :

الأمُّ مريضةٌ على فراشِ الموتِ ، والابنةُ باكيةً بجانبها ـ تنظرُ الأمُّ لابنتها

ـ تترقرقُ دموعٌ فى عينيها .. تقولُ : كمْ كنتُ أتمنى أنْ أطمئنَّ عليكِ قبلَ

أنْ أرحلَ

تثورُ الابنةُ .. تغضبُ : ألمْ تطمئنيّ بعدَ كلِّ هذا..

شهاداتي تملأُ كلَّ جدرانِ الغرفةِ .. بكالوريوس ، ماجستير ، دكتوراه ،

شهاداتُ تقديرٌ ، ومركزٌ مرموقٌ .. واحترامٌ فى كلِّ مكانٍ ... ماذا بعد

يجعلكِ تخافين ؟؟

_تمنيتِ للساقِ القويةِ أنْ يُصبحَ لها فروعٌ ..وغصونٌ .. وأوراقٌ..

أخشى أنْ تظلَّ شجرتُكِ يا ابنتى عاريةً،

أخشى أنْ تلفحَ رياحُ شتاءِ العمرِ الشجرةَ الجرداءَ.. أخشى عليكِ بردَ

الشيخوخةِ أخشى ألاّ تجدى من يؤنسُ وحشتَكِ.

ـ لا تخشَي شيئاً .. تؤنسُني أوراقي ، أبحاثي ، تلامذتي سيملَؤون علىّ المكانَ..

تظلمُ الصورةُ ـ يغلفُّ المكانُ بالسواد ، وتلفني ظلمةٌ ثقيلةٌ..

ودموعٌ ساخنةٌ على وجنتي ـ والعرقُ يتصبَّبُ من كلِّ خلايا جسدي..

والبرودةُ تسْرى فى أعماقي ـ تسحقُ عظامي

ألتفُّ في الغطاءِ .. أتدثَّرُ .. أتكوَّرُ ..

تمسُّ يدى جدرانَ بطنى ..

أحلمُ .. أتخيَّلُ .. أنَّ البطنَ يكبرُ ، ويتكوَّرُ

فى الدّاخلِ يرقدُ طفلٌ يدقُّ الجدرانَ بقدميهِ..

أحلمُ .. أتخيَّلُ .. يكبرُ .. أسمعُهُ .. يضحكُ .. يبكى

يتفجَّرُ الحنانُ فى جسدي

أتمنى أنْ ألقمَهُ ثدي .. أمدُّ يدي لأحتضنَهُ

ترتطمُ اليدُ بجدرانِ البطنِ الخاوي

ينفجرُ الدَّمعُ .. أبكى .. أبكى

تهتفُ صرخةٌ فى أعماقي

(مَنْ سرقَ عُمْري) ؟

نادية محمد الجابي

من مواليد القاهرة عام 1950

متزوجة وأم لثلاثة من الأبناء.

حاصلة على ليسانس آداب ـ قسم فلسفة واجتماع ـ جامعة بنغازي

نشرت لها بعض القصص في مجلة الثقافة العربية.

أذيعت بعض القصص القصيرة من كتابتها في الإذاعة الليبية..

لها ثلاثة عقود مع مؤسسة النشر الليبية ـ بنغازي لنشر ثلاث مجموعات من قصص الأطفال.

رياض شلال المحمدي

بين عهدين!

كانَ يُحبُّني حُبّاً جمّاً ، وحبّي لهُ جاوزَ ساملياتِ الشغف ،

أوسعُ من الأرضينِ أدواحُ الودّ بيننا ، بل طالما ظلّ ولا زالَ

يناديني بالوسيمِ ! حيثُ لأحاديثِ الروحِ والفكرِ بيننا وحادثاتِ

الزمنِ بهجةُ الواعين ونفحةُ المتنوّرين الواهين .

وعهدَ أنْ نكون في حضرته جالسين عنده فكـأنّما على رؤوسنا الطير . !

قال لي ذاتَ مساءٍ والحبورُ غالبٌ عليه :

أسمعْنا أيُّها الوسيمُ ممّا جادتْ به عليك قريحتُك من الشِّعر .

قلتُ : نعم ، سيّدي قُبيل أيّامٍ وأنا في انتظارِ طائفِ القلبِ وواردِهِ ،

وزاهياتِ الفكرِ ، مررتُم على البالِ فكانتْ هذهِ الأبياتُ.

وقبلها لامستْ قطراتٌ من رسُلِ العين الخدَّ المتورّدَ أنساً ،

وبدأتُ أنشدُ :

يا فائقَ الروح قد نادتك أعماقي .. يا فائقَ الروح ياحبّي وأشواقي

...

ولّما انتهيتُ من حيثُ بدأتُ ، قال :

أنا أيضاً ذكرتُك قبلَ أيّامٍ ، ولكنْ من دونِ كــلامٍ ، فصغتَ أنتَ من هذه الذكرى قصيداً.

ودالتْ بنا الشهورُ والسنواتُ آلاماً وآهاتٍ تفتُّ من عضُدِ الصابرين ، وتطعنُ الأعمارَ بسكّين البين وخنجرِ الغافلين .!

صحوتُ على النفسِ متلفّتاً يميناً وشمالاً ، إذا بي على سريرٍ أبيضٍ عتيقٍ ، ووسادةٍ أكلَ الدهرُ عليها وشربَ ! في مشفى (الرشيدِ) في بغدادَ.!

قلتُ لمن حولي ممّنْ جاءني زائراً : بلّغوا حِبّي السلام ، واستوصوهُ بالدعاءِ لنا خيراً ، أجابَ أحّدُهم والحسرةُ تداعبُ أوتارَ حنجرتهِ : كنّا عندهُ قبل أنْ نأتيَ إليكَ ، و. .....

سيّدي : سنزورُ أحَدَ الأحبابِ في المشفى ....

فأجابنا على الفورِ وقبلَ استرسالِنا بالحديثِ : قُطِعَتْ يدُهُ ؟ أليسَ كذلكَ ؟ !

قلنا نعم . قال : واللهِ قد دعونا له كثيراً ، ولكنْ (وكان أمرُ اللهِ

قدراً مقدوراً) ، بلّغوهُ السلامَ والتحيّةَ وأخبروهُ بأنّ جزءً من جسدِهِ قد سبقَهُ إلى حيثُ جنّاتِ الخلود ،،،،،...

أجلْ ، هو كان يحبّنا ، وإنّي كنتُ أحبّهُ ، ولكنْ يبقى كلّ " حادثٍ" معرّضاً للحوادث.

ودّعتُ من زارنا في تلكِ الليلةِ الليلاءَ ، وأغمضتُ جفنيّ وأنا أتمتمُ مع روحي ما قالهُ ذاكَ الحبيبُ مشفقاً وقبلَ غيابِ الشفقِ :

فاذكرونا مثلَ ذكرانا لكم ... رُبّ ذكرى قرّبتْ مَن بَعُـدا .....

قُبيل السفر

ذاتَ طيفٍ لازوَرْديٍّ يُغلّفُهُ غسقُ الزمانِ ، وعتمةُ دموعِ الحنانِ، جاءني مُلتحفاً إشراقَةَ الشوقِ ، وابتسامتُهُ المعهودةُ تنيرُ ثنايا مُحيّاهُ ، آبَ يسيرُ الهوينى بخطاهُ الواثقةِ كأنَّهُ ملاكٌ سماويٌّ وعيناهُ ترمقني تفيضُ رقّةً وسناءً ، وحيثُ أعتابِ ما كنتُ واقفاً كانتْ بقربيَ سنديانةٌ فيها زهرةٌ تفوحُ منها غوالي البنفسجِ ، فإذا بهِ يقطفُها قابضاً عليها بيمينهِ يشمُّها ويشيرُ إليّ قائلاً :

يا صاحِ ، لنجلسَ في باحةِ الودادِ نتذاكرُ شيئاً من غابراتِ الوئام! قضينا من الزمنِ القليلَ القليلَ نتجاذبُ روحانيّات الفؤادِ وما ألقتْ علينا سوانحُ النِعم البريئة !

وإذ هــو يهمّ بالنهوضِ مغادراً قافلاً من حيثُ جاء ، عجِلتُ إليه علّي أحضى بعناقٍ منهُ أو مصافحتهِ ، وهنا انتبهتُ من غفوتي.!

عشتُ بقيّةَ ساعاتِ النهارِ متفكراً مستأنساً متسائلاً : يا تُرى فيمَ هــذه الزوْرةُ ؟ إلامَ ترمزُ رؤيايَ تلك ؟ ومن ذا يجيدُ لها فنَّ التعبير ؟ .

حتى إذا جنَّ الغروبُ ، إذا بالهاتفِ يداعبُ مسْمعيَّ برنينِهِ الذي قلّما يمنّ حبوراً.!

أجبتُ واللهفةُ تغمرُ عينيّ وعقليَ لأسمعَ الصوتَ الأجشَّ وهو يهمسُ لفؤاديَ قبل أذُني قائلاً إنَّ (فلاناً) قد انتقلَ إلى جوارِ ربّهِ. !!!

كان (فلان) هــو ذاتُهُ مَن جاءني ذاتَ طيفٍ.....

وللحديثِ بقيّةُ شجونٍ. !

رحلة الأزمنة

طالما ظلَّ مُغادراً حاضرَهُ الموجعَ وأيامَهُ التعبى رحـيلاً إلى حيثُ ضفافِ شواطئِ الماضي وأنفاسهِ الباكياتِ الساحراتِ المترعاتِ ببهجةِ ريْعانِ الصِّبا ، عهدَ كانت لهُ زَوْرةٌ يتيمةٌ كلّ عامٍ إلى أربُعِ جـدّهِ لأمّـه ، إذ الحنينُ له أضعافُ أضعافِ الحنينِ إلى مغاني جدّه لأبيه. !

كان كلّما دلفَ مُسلّماً راحَ يتأمّلُ بلوحـةٍ مُعلّقةٍ على الجدارِ يمين صالةِ الضيوف

مكتوب عليها " لئن شكرتم لأزيـدنّكم " ، لم يكُ يدرك فحواها وإنْ كانت عيناهُ لا تُفارقانها قراءةً ، وإذْ هو غارقٌ في حيائهِ المعهود وصمتهِ البليغ تمتدُّ لهُ اليدُ البيضاءُ المِعطاءُ.. إنّها يمينُ جدّتهِ وهيَ تضعُ في كُمّـهِ شيئاً من دراهمِ الزمنِ الجميل ، فالحفيدُ الزائرُ تداعبُ مُحيّاهُ نسماتُ العيدِ وألوانُ السعادةِ. !

لم يطلْ به العهدُ حتى غادرهُ الجميعُ ، فلم يعد هنالك للذاكرةِ من ربيع ، وإذْ هو بين النائمِ واليقظان(أعتقدُ بين النّومِ واليقظةِ مناسبةٌ أكثر)، إذا

بالروح تطوفُ حولَ هاتيك الديارِ ، تجولُ بين الطرُقاتِ وفوقَ السطوحِ ، ثم تعرُج إلى " السَّدّةِ " القديمةِ، ومنها تنزلُ إلى النهرِ كيما تخطّ على الطين تأريخَ تأشيرةِ المرورِ وإن كان سوف يجرفهُ الماءُ صوبَ معالم النسيان ، ينظر مُتَسائِلًا : المنازلُ تغيّرتْ وجوهُها ، لكن لِمَ الطرُقاتُ هي الطرُقاتُ ؟! ثمّ ما لي لا أرى أحداً هنا سوى بقايا أعشاشٍ ورجعَ صدى زقزقاتٍ تهافتتْ عليها مدامعُ عوالمِ السائلين، ونهنهاتُ بقيّةٍ باقيةٍ من أوْجاعِ السنين ؟ .

ولِمَ تبدّلتْ وتبدّدت وتلبّدتْ لحظاتُ العمرِ من اليُسر غمّاً وعسراً ؟.

إذا بالهُتافِ من الفضاءِ يناديه قائلاً : تذكّر أيُّها الرازحُ تحتَ أحلامِ الخريف ما قرأتَ ذاتَ صفاءٍ على تلك اللوحــةِ على الجدارِ ، وحينها تنتفي عنك الشكوكُ لترتدي بعدها بُردَ اليقين ، وتؤوبَ مغادراً إلى حيثُ ضفافِ الماضي ، ولكن لتصنعَ منها هذه المرّة آيةَ العبورِ إلى منتجعِ الحاضرِ وآخرِ محطاتِ المستقبل.

رياض شلال المحمدي

من مواليد فلوجة العراق سنة 1967 ، أكملت الدراسة الثانوية سنة 85 – 86 . كما أكملت الدراسة الجامعية في معهد النفط بغداد 1987 . إلتحقتُ بالخدمة العسكرية ، وبعد أشهر تعرّضتُ للإصابة حيث أدت إلى بتر الذراع الأيمن فوق المِرفق . متزوج ولي من الأبناء : عبد الله ، فائق ، وفاء ، زهراء ، أسماء ، آيات ، وزينة . كانت بداياتي مع الأدب منتصف ثمانينيات القرن الماضي ، وشاركت في عدة لقاءات للشعراء الشباب في بغداد والمحافظات .حيث تمّ تكريمي من الاتحاد العام للأدباء والكتاب العراقيين بعد مشاركتي عام 1999 ، وحصلت على عضوية الإتحاد العام للأدباء والكتاب في العراق عام 2000 وشاركت في مهرجان المربد عام 2010 ومهرجان الجواهري عامي 2010 – 2011 . شاركت في مسابقتي قناة المستقلة : شاعر العرب ، أجمل قصيدة عن الأم ، إضافة إلى مسابقة الواحة الثقافيّة للعام 2013 ، ومسابقة منتديات نبع العواطف 2013 . كتبت في عدة منتديات أدبية

منها :الواحة الثقافية ، الملتقى الثقافي العربي ، النيل والفرات ، مجالس غزل الروح ، أروقة الأدب ، القصيدة العربية ، شبكة صدانا ، فرسان الثقافة ، شعراء بلا حدود . نبع العواطف ، إضافة إلى صفحات التواصل الإجتماعي. صدرت لي المجموعة الشعرية (غيث الفؤاد) عام 2011 .كما لدي عدة مجاميع شعرية مخطوطة بانتظار طباعتها منها : بيان الروح ، آخِر الصدى ، مرابع الأنس ، ينابيع الوفاء ، مِسْكٌ رحيق، أقمار ، حبيبتي ، مدائن الصَّفصاف ، وغيرها .